العدد «٢٥» السنة الثالثة جمادى الاولى ١٤٠٥ هـ فبراير ١٩٨٥ م



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين

افريقيا ... قارة الجوع والمستضعفين

العيد السادس بين عالم ينهض وعالم ينهار

ملف الناصرية

الوضع الدولي في منتصف الثمانينات



السلام عليكم 1
العيد السادس بين عالم ينهض وعالم ينهار 3
الوضع الدولي في منتصف الثمانينات 9
ملف الناصرية 20
اخلاقيات العمل السياسي 28
اوراق اسلامية 33
في الذكرى السادسة لانتصار الثورة الاسلامية 37
اخلاق المسلم الطلائعي 43
دور دراسة ظاهرة الحج 48
ساحة للحوار 65
باختصار 68
ونلتقي 72

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

افريقيا . . .

« قارة الجوع والمستضعفين »

المجاعة في افريقيا مازالت مستمرة... والاعداد الكبيرة للضحايا ــ ضحايا النهب الاستعماري ــ تؤكد ان هنالك خللاً كبيراً في هذا العالم، خللاً في القيم وخللاً في وعي الانسان وفي قدرة هذا الانسان على تجاوز أحابيل التضليل الفكري والاعلامي في هذه المرحلة من التاريخ.

فهنالك جريمة مستمرة ترتكب على مسمع ومرأى من العالم منذ ست سنوات ولم يتحرك مايسمى بالضمير العالمي حتى يضع حداً لهذه المأساة الذي هو سببها الرئيسي بل اطلق مؤسساته الصليبية التبشيرية لتقوم بتجميل وجهه القبيح من خلال حملات اعلامية واسعة ظاهرها المساعي الانسانية وتقديم المعونات لهؤلاء الجياع المتغلفين وحقيقتها التبشير وتجميل جثة المأساة، ولم يتحرك ذوي القربى (قربى الدين والمصير المشترك) ونعني حكومات الدول النفطية في المنطقة العربية، لم يتحرك احد من اجل ايقاف نزيف الحياة البشرية في افريقيا.

ان هذا العجز الانساني الرهيب او لنقل التواطىء المسبوق بالاصرار سوف تترتب عليه نتائج في غاية الخطورة منها ماتحققت نذرها ومنها ماسوف تلده الايام والليالي المقبلة، فأفريقيا القارة الضخمة على الصعيد الجغرافي والبشري والامكانيات الطبيعية والتي قدرها الحقيقي في ان تكون المجال الحيوي للعالم الاسلامي ولانتشار الاسلام بحكم

روابط كثيرة تربطها مع عالمنا الاسلامي، سوف تتحول الى قاعدة للنصرانية ان لم يتداركها الله حيث التبشير الصليبي هناك بأمكانياته الضخمة وبخططه المتكاملة قد استطاع ان يوجد له موقع قدم بل اذا شئنا الدقة نقول مواقع اقدام كثيرة وقد استفاد هذا التبشير من المجاعة ومن العجز العربي في مد ظلاله وتوسيع رقعة نفوذه.

ولانسى التغلغل الصهيوني في افريقيا... والعلاقات المميزة التي اصبحت تربط بين دولة الكيان الصهيوني وبين كثير من الدول الافريقية وما استئناف بعض الدول الافريقية للعلاقة مع الدولة العبرية الا مؤشراً قوياً على حجم التغلغل الصهيوني في افريقيا وما انكشاف مؤامرة نقل طائفة «الفلاشة» من اثيوبيا الى فلسطين المحتلة بتواطؤ اثيوبي ــ سوداني ترعاه المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الا بعض مؤشرات الخطر التي يتعرض لها الاسلام في افريقيا والخطر الذي تتعرض له افريقيا ككل.

ان العالم العربي الاسلامي المنقسم على نفسه في ظل وجود انظمة التجزئة والهزيمة والمفصول في قلبه بالخنجر الاسرائيلي يبدو ان قدرة الجديد ان يكون محاطاً بالنفوذ الصليبي الصهيوني من جنوبه في هذه المرحلة، هذا مايراد له حتى تكتمل التجزئة ويكتمل الحصار، يحدث ذلك كله بينما يعيش هذا العالم في حاله من العجز عن فهم مايحيط به وعن القدرة على وضع خطة لمواجهة الواقع المعادي له كأمة وعقيدة وحضارة.

ولكن تفاقم الاوضاع على هذا النحو على الرغم من انه يعكس الوجه المظلم من الصورة فأن للصورة وجهاً آخر، هذا الوجه هو حتمية صعود الاسلام العظيم وقدرة هذه الامة الاسلامية ــ كأمة اعطى لها الله الخيرية على الناس ــ على تجاوز هذا الواقع.

فمن تحت رماد القهر والدمار سوف تنبعث أمة الاسلام قوية متحدة لتعيد للاسلام مجدة وقدرته بقدرة الله الواحد الاحد ليتم الله نوره ولو كره الكافرون...

«الطليعة الاسلامية»

العيد السادس بين عالم ينهض وعالم ينهار

محمد صادق الحسيني



في هذه الأيام العظيمة التي تمر على المسلمين داخل الوطن الاسلامي الكبير وخارجه وهم يستقبلون الربيع السادس للثورة الاسلامية بعد أن مر عليها اثنان وسبعون هلالاً، نرى أنه من الواجب تذكير أنفسنا واخواتنا في العالم الاسلامي إلى أي جهة انتموا وتحت أي راية عملوا ما داموا يحملون لواء الاسلام، أن نتذكر جميعاً أمراً هاماً وموضوعةً هي من صلب ديننا الحنيف وركن أساسي من أركان عقيدتنا ألا وهي موضوعةُ الدولة الاسلامية أو الحكم الاسلامي، وهي الموضوعة المستندة الى ضرورة الخروج من عبادة العباد الى عبادة رب العباد أي سيادة التشريع الاسلامي في كافة أمور المسلمين وعلى كافة الاصعدة والحقول الحياتية لهم، ثم دعوة البشرية للسير على منوالهم كما جاء في الذكر الحكيم: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) «أية ٢٨ سورة سبأ» (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) «أية ١٠٧ سورة الانبياء».

نعم في هذه الايام بالذات تتطوف العالم وفود وهيئات ولجان وشخصيات من كل طائفة ومذهب، ومن كل حزب وجماعة وتحت يافطات شتى وإطارات متعددة دعوة عالمية منظمة وموجهة الى الثورة الاسلامية والمسؤولين في الجمهورية الاسلامية في ايران تطلب منهم وتدعوهم الى طاولة المفاوضات وما اصطلح عليه بوقف نزيف الدم وانهاء حرب الخليج التي دخلت عامها الخامس.

فما هو ردنا نحن المسلمون وما هي حجتنا أمام هذه الحملة الاعلامية الواسعة التي تلف العالم من أقصاه الى أقصاه وتحاصر أسماعنا وأبصارنا وتبث التردد والحيرة أحياناً بين صفوفنا ؟!

وها هو نظام الاستعمار العالمي أخذ يعيد ترتيب قواه وتنظيم صفوفه في معادلة عالمية قائمة على الهيمنة وشاملة تتبلور يوماً بعد يوم في طابع من التعايش العجيب بين القوتين العظميين حول أهم الساحات اضطراماً وأخطرها مصيراً فوق سماء ساحة المعترك الحضاري بين أمة الحق وأمة الباطل سواء في قلب وطننا الاسلامي بين أكناف بيت المقدس أو على حدود دولة الاسلام في حين أن جبهة أمتنا لا زالت موزعة حائرة مترددة تتجاذب أطراف الحديث والنقد الذاتي حول موضوعات وأمور لا بد من حسمها سريعاً وقبل فوات الاوان للتمكن من ترتيب الصفوف واعادة اللحمة الى الجسم الاسلامي الواحد ليصبح المسلمون (صفاً كأنهم بنيان مرصوص) أمام هذه الهجمة البربرية الشرسة فكل يوم يمر دون حسم الاختيار والانتخاب وكل ساعة تمضي دون تشكيل جبهتنا العالمية المضادة تمكن دوائر الضلال المحيطة بنا من كل جانب من أن تزيد ساحتنا تعقيداً وتسهل اختراق أعماقنا وتبدد جهود المخلصين والمناضلين مما يؤخر ساعة المواجهة الشاملة التي تعد لها الامة بطرق أبواب الكرملين والبنتاغون بمطارق أهل القدس وسواعدهم الابية.

صحيح أن هذا الامر ليس بالامر اليسير وأن الالام والاوجاع والجراح تخضب جسم الامة سواء في قلبها الدامي في فلسطين ولبنان أو في أطرافها في أفغانستان وشبه القارة الهندية وشمال أفريقيا والعراق المنسي إلا أننا لا بد وأن نتذكر أن العالم الاخر المتمثل في قوى الشر والطغيان العالمي هي الاخرى تعيش حالة من الاضطراب والقلق الشديدين، والجراح تنزف من كل أطرافها وهنا لابد من أن نستشعر ونتحسس بألامنا وأوجاعنا بروحية المتفائل بالنصر لأنها في الواقع أوجاع وألام وجراح الولادة، في حين أن الطرف الاخر يعيش ألام وأوجاع الاحتضار والتقهقر.

ففي الحقيقة نحن نمضي الان باتجاه عصر يولد و ينمو على أنقاض عصر التهافت والانهيار وهذا يتطلب من كل المؤمنين أفراداً وجماعات أن يصروا أكثر من أي وقت مضى على الاستقامة والصمود و يعضوا على الجراح و يتأسوا بعهود السابقين من أمتنا وتاريخنا الذاخر بالمعاناة والصبر والاستقامة التي أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم: (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعلمون بصير) «أية ١١٢ سورة هود».

هذا هو قدرنا ولا بد للأمة أن تصمد وتوفي بعهدها وميثاقها الذي قطعه أباءها وأجدادها مع خاتم الرسل محمد (ص)، وهذا الميثاق أمانة في رقابنا وعلينا أن نشعر حقاً بأننا اليوم مطالبين بالحسم والاختيار بين جيش الرسول وجيش الجاهلية والمشركين ولا نأبه بأصوات المترددين والمتعبين أو المنافقين والمتخاذلين لأن المعترك الحقيقي الذي تمر فيه الامة والخيار الوحيد الذي تواجهه هو أن يحكم الاسلام أو لا يحكم هو أن نحي كرامتنا وديننا الحنيف أو لا نحييه، هذا هو جوهر المعركة وسر كل هذا التعايش بين جبهة الشرق والغرب مجتمعة ضد أمة الاسلام. من أجل تعطيل أحكامه في دولة

الاسلام ومن ثم منع تعاليمه السامية عبر ديار المسلمين ولذلك فان علينا جميعاً مهمة مركزية هي الدفاع عن هذه التعاليم وتركيزها وتثبيتها في دولة الاسلام والعمل بقوة في سبيل نشرها وتعميمها بالدعوة والجهاد وخوض المعارك الضارية دون خوف أو وجل وهذا يتطلب حسم الامر في أدمغتنا والاخذ بمعيار القرآن والسنة في مواجهة النمامين والمترددين الذين يحاولون زرع الخلاف والفرقة في صفوفنا ولتكن رسالة السماء هي الحكم والفصل فيما اختلفنا فيه حول أمر هذه الدولة المباركة وضرورة الدفاع عنها مقابل أمة الكفر التي اجتمعت على قتالها منذ أن قامت وها هي تفسيرات علماء المسلمين تدعو الى ضرورة دعم دولة الاسلام والدفاع عنها في مواجهة دول الكفر وأئمتهم.

يقول العلامة الطباطبائي في كتابه (الميزان في تفسير القرآن) في مقام تفسير الاية الكريمة (يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً) «الاية ٥٩ صورة النساء» (وأما أولوا الأمر فهم ــ كائنين من كانوا ــ لا نصيب لهم من الوحي، وإنما شأنهم الرأي الذي يستصوبونه فلهم افتراض الطاعة نظير ما للرسول في رأيهم وقولهم ولذلك لما ذكر وجوب الرد والتسليم عند المشاجرة لم يذكرهم بل خص الله والرسول: فقال، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله و باليوم الأخر...) ثم يقول: وهذا الحكم يجب الرجوع فيه الى أحكام الدين المبينة المقررة في الكتاب والسنة والكتاب والسنة حجتان قاطعتان في الأمر لمن يسعه فهم الحكم منها. وقول أولي الأمر في أن الكتاب والسنة يحكمان بكذا أيضاً حجة قاطعة فان الأية تقرر افتراض الطاعة من غير أي قيد أو شرط والجميع راجع بالأخر الى الكتاب والسنة.

وأما الاستاذ المرحوم محمد المبارك في كتابه نظام الاسلام ــ الحكم والدولة ــ الذي كتبه بجوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة، فانه بعد أن يورد آيات الكتاب الحكيم المتعلق بموضوعة طاعة الله ورسوله وضرورة اقامة نظام الحكم الاسلامي يؤكد على بعض الاحاديث المتعلقة بضرورة البيعة والطاعة ٤ولي الامر وضرورة اقامة الدولة الاسلامية والدفاع عنها وأهمها كما يذكر الكاتب في كتابه (بل ان الرسول (ص) يوجب صراحة على المسلم أن ينتمي الى دولة اسلامية و يرتبط بعقد و بيعة وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» وقوله «من نزع يده من طاعة امامه فانه يأتي يوم القيامة ولا حجة له» رواهما مسلم).

ويمضي الاستاذ المبارك في ذكر الاحاديث المتعددة والكثيرة حول الموضوع الى أن يستنتج مستخلصاً: (ولما سبق من الاعتبارات والحجج نرى أن أئمة المسلمين وعلمائهم منذ صدر الاسلام حتى العصر الحاضر أدخلوا باب الامامة في كتبهم الفقهية وأحياناً في كتب العقيدة وعلم الكلام بسبب ما ثار من

جدوى الاقتتال بيننا ؟!) .

نحن نعتقد أن أنشودة السلام التي ترتفع نغماتها اليوم ودعوات وقف الحرب ليس لها هدف سوى تأجيج الحرب ضدنا نحن المسلمين ونزع فتيل المقاومة والصمود من بين صفوفنا فهل تدرك القوى الاسلامية الناهضة على امتداد العالم الاسلامي الكبير عمق المؤامرة وشكل الخدعة الجديد وأسلوب التحايل والاختراق والنفور داخل دائرتنا العقائدية اذا كنا مؤمنين حقاً بنصوص القرآن وسنة الرسول الاكرم فما علينا إلا العودة حقاً اليهما في مواجهة الفتنة الجديدة هذه . وكما أشار الامام الخميني في عيد المولد النبوي الشريف في عام ١٩٨٤ فان شعار المقاتلين والجماهير العريضة «حرب حرب حتى النصر» هو رشحة من ترشحات القرآن وإن في القرآن مفهوم أشمل وأعمق من هذا الشعار علينا الاهتداء به والانقياد له ألا وهو: «قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله» نعم أي أن الواجب يفرض علينا جميعاً أينما تواجدنا مقاتلة المشركين والكفار حتى يسود الدين كل العالم المترامي الاطراف وان الحرب ستستمر حتى ازالة الفتنة من العالم، فكيف بنا ونحن نواجه حرباً صغيرة ندافع فيها عن دولة الاسلام وتعاليم القرآن التي يراد لها أن تنهار وتسقط من قاموس التعامل السياسي الدولي والمحلي ! وهل نخاف من الحرب وقد جعل الله الموت والحياة وكل شيء لنا رحمة للعالمين. أليس هو العدل بعينه أن يرحم رب العباد عباده ويجعل الحساب و يوم القيامة مقروناً بأحد أبعاده بعمل الخلاف في طريقة تعيين الامام مع الاتفاق على الاصل بين الفرق الاسلامية وهكذا أجمع المسلمون جيلا بعد جيل منذ عصر الصحابة على أن الحكم من الاسلام وعلى أن الاسلام يستلزم اقامة دولة، أما أن يكون لبعض أبناء (المسلمين) في عصرنا الحاضر موقف خاص من الاسلام نفسه أصلا و بالتالي من حكم الاسلام واصطباغ الدولة الحديثة بصبغة الاسلام فذلك يحدد موقفهم من الاسلام كله باعتباره نظاماً عقائدياً كاملاً ولكنه لا يغير الاسلام نفسه في نظر أي باحث أياً كان مذهبه واتجاهه .) .

نعم، هذا هو مضمون وجوهر الدعوة التي تطوف بها وفود ولجان عالم الاحتضان والتهافت سواء من دول الاستعمار الدولي أو من توابعه الاقليمية المتلونة والمتعددة الاشكال. فهل صحيح أنهم يريدون السلام ووقف الحرب ؟؟ اذا كان الامر كذلك فلماذا بدأوا الهجوم أليس المطلوب من العالم اليوم أن يتذكر أيام الحرب الاولى وكيف بدأ الهجوم وتحت أية شعارات .

يقول الامام الخميني بمناسبة المولد النبوي الشريف في عام ١٩٨٣ (عندما كان يهاجم و يضرب «صدام» كان يقول و يصرخ بأنه يريد أن يفعل كذا وكذا بالمجوس ؟ جميعنا كان مجوساً في نظره، كل الايرانيين كانوا مجوساً، كان الامر كذلك عندما كان قادراً أن يمتلك القوة، أما بعد أن تلقى الصفعة من مسلمي ايران وعندما ردوه على أعقابه، أصبحنا مسلمين جميعاً وبدأ التساؤل عن

الانسان وجهاده وطريقة موته كما يذكر الحديث الشريف: «الجنة تحت ظلال السيوف» .

فهل يجوز بعد كل هذا أن نركن الى دعوات المتخاذلين والمخادعين والكذابين الذين يريدون من دعواتهم الضالة لنا أن نتخلى عن الاسلام وأن نكف عن الدفاع عن ضرورة الحفاظ على وهج الدعوة وعن أمر نشرها بحجة وقف نزيف الدم وتحت يافطة وقف الاقتتال بين الاخوة وغير ذلك من الشعارات التي يدعون اليها أولئك الحلافين والهمازين الذين يأمرنا القرآن الكريم برفض دعواتهم وعدم الركون اليهم لأنهم يريدون تأجيج الحرب ضدنا كما جاء في الذكر الحكيم: (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم) «سورة القلم» فهؤلاء: «ودوا لو تدهن فيدهنون» «سورة القلم» انهم يريدون جر جيش الاسلام وقيادته الى المناورة والمخادعة ومن ثم المداهنة مع أعداء الله وأعداء الرسول بعد أن أصبح جند الرحمن على قاب قوسين أو أدنى من النصر، هذا هو النداء الحقيقي الذي يحمله رواد مشاريع وقف الحرب والمصالحة بين جند الحق وجند الباطل وواجب أمة الاسلام مجتمعة أن تبلغ رسالتها الحازمة بشأن هذه الدعوة مستندة في ذلك إلا قول الحق العزيز الحكيم (...لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) نعم يجب على الامة أن تجتمع على كلمة الحق وأن تتوحد كلمتها تحت راية الشريعة السماو ية الحقة وتبلغ الجميع جواب المسلمين الحازم المستنبط من قوله تعالى :

«واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله **والرسول** رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا إلا احساناً وتوفيقاً أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا» «الايات ٦١ـ ٦٣ من سورة النساء» .

ان هذه الدعوات وهذه الادعاءات بأنه أن الاوان بأن تقف الحرب المفروضة على المسلمين من أجل سيل الدماء لما فيه مصلحة الجميع دوزن قيد أو شرط ليست إلا دعوات مشبوهة يراد منها الايقاع بين المسلمين وتفتيت قواهم و بعثرتها حتى تأخذ قوى الهيمنة العالمية حذرها وتلتقط أنفاسها لتعد العدة من جديد لعدوان أشد وحرب أكثر دماراً، من هنا فان على كافة القوى الاسلامية المنتشرة في أرجاء الوطن الاسلامي وجماعات المسلمين وعلمائهم واجب دحض هذه الادعاءات وفضح افتراءات الباطل وردها بأدلة دامغة حازمة نابعة من فكر القرآن وسنة الرسول ومدعومة بحركة وحدو ية جادة بين جميع الفئات والمذاهب الاسلامية ورفع راية عالمية الاسلام من جديد بوجه عالمية الكفر والطاغوت، وغير أبهين بتلك الدعوات المترددة والمترهلة التي تهمس بين الحين والحين داخل صفوف المسلمين بأنه كفى شهداء وجرحى ومعوقين في هذه الامة، فأن الامة الحقة لم تتعب ولن تتعب وتاريخها وتراثها ودينها علمّها الاستقامة والاستقامة والاستعامة حتى النهوض الاقوى، وكما يقول الامام علي (كرم الله وجهه) «بقية السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً» .



نعم ونحن نستقبل العيد السادس للثورة الاسلامية في ايران نقول أن المهمة المركزية والملحة في هذا الربيع الجديد الذي يحتفل به كافة المسلمين هي تكتيل كل القوى والتيارات والجماعات الاسلامية والنهوض بمستوى العمل التوحيدي الى مرحلة نوعية جديدة تتمثل في أرساء أسس عالمية جديدة لا ترهب تهديدات القوى العظمى ولا ردعها النووي ولا تخشى في الله لومة لائم، تمضي الى سبيل ربها في الدفاع عن بيضة الاسلام وكرامة المسلمين الذين يتهددهما خطر تكالب قوى الكفر والطاغوت واتحادهما ووحدة عملهما التي تتمثل اليوم وتتبلور في الانتظام العالمي تحت لواء وقف ما يسمى بحرب الخليج بأي ثمن وتحت أية يافطة خوفاً من ولادة المولود الجديد. لذلك فان ما هو مطلوب أن تعي وتدرك القوى الاسلامية في كل ساحاتها ومهما كانت أجتهاداتها أن تحزم أمرها وتقف «كأنهم بنيان مرصوص» بوجه تحالف الطاغوت العالمي الذي يوجه حرابه نحو دولة ايران الاسلام التي ان لم تكن قد ضربت المثل الاعلى في احقاق الحق كما يردد الدكتور حسن الترابي في ندواته في السودان حسب ما ينقل بعض أصدقاءه فانها ضربت المثل الاعلى في ازهاق الباطل.

ومرة أخرى نقول ليس المقصود في كل ما يدور اليوم في كواليس السياسة العالمية ومطابخ الحروب ودوائر المخابرات الدولية غير رأس الاسلام فهل آن الاوان أن ندرك حقيقة ما جرى ويجري ونستخلص الدروس والعبر قبل فوات الفرصة. فرصة رفع لواء العالمية الاسلامية في عالم ينمو ونسدل الستار على عصر عالمية الكفر والاحتضار.

الوضع الدولي في منتصف الثمانينات

الاستاذ عثمان نصر الله

مقدمة:

إن المتابعة السياسية أولا ثم الاقتصادية والعلمية ثانياً لمشاكل العالم وأزماته، يجب أن تكون هماً دائماً للقوى الاسلامية الناهضة، وشغلا من مشاغلها، لكي تكون قادرة على فهم العالم الذي تعيش فيه، وقادرة على مواجهة تحدياته. ولعب دور فعال في حياته السياسية والاقتصادية والثقافية، وان هذا الأمر يجب ألا يتناقض مع التربية الروحية والعقائدية، ولا مع التركيز على الدراسة الفقهية. فالاهتمام بالسياسة يشكل واجباً على كل من يعنيه أمر الجهاد في سبيل الله. وان هذا الاهتمام يجب أن ينصب على متابعة السياسة لبلوغ تحليل صحيح ودقيق للوضع السياسي المحلي والاسلامي العام والعالمي. إنه لايكفي تحديد جبهة الكفر والاعداء وانما لابد من دراسة دقيقة وتفصيلية لأوضاعهم ولميزان القوى ولتناقضاتهم واستراتيجياتهم واتجاهاتهم لكي يصبح بالامكان ادارة الصراع ضد الكفر ادارة صحيحة وناجحة.

الوضع الدولي:

يتسم الوضع الدولي في هذه المرحلة (منتصف الثمانينات) بعدة سمات:

١ ــ الصراع الامريكي ــ السوفياتي: تشكل الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي أقوى دولتين على الكرة الارضية من حيث قدراتها العسكرية ومناطق نفوذهما وموازنتها. وقد دخلتا فيما بينهما بصراع مستميت لتحقيق التفوق العسكري ومحاولة التحكم في أحداث العالم ومصير شعوبه. ولهذا يمكن تحديد سمات العلاقة بينهما.

آ ــ سباق تسلح مجنون يستنزف امكانات مادية خيالية وقد نجم عنه مخزون للأسلحة النووية والكيماوية والهيدروجينية والبيولوجية يكفي لتدمير العالم عشرات المرات. وهما لايزالان يراكمان هذه الاسلحة. كما دخلا في سباق مجنون في سباق التسلح التقليدي وتطور التقنيات العسكرية المختلفة، الامر الذي يهدد العالم بأفدح المخاطر، فضلا عن اثارة السلبية على أعصاب مئات الملايين من البشر، وعلى ارهاب الشعوب لتخويفها واخضاعها. ويمكن القول أن أغلب التقارير العسكرية تشير الى تفوق الاتحاد السوفياتي، خصوصاً في مجال الاسلحة التقليدية، وعدد الصواريخ النووية وكمية المخزون، وان كان

توازن الرعب مازال قائماً من حيث القدرة على تدمير الآخر حتى لو كان متفوقاً، مما منع حتى الآن استخدام التفوق لاشعال حرب عالمية، وهو أمر لايمكن الركون عليه بسبب سرعة التقدم التقني الذي قد يخل بهذه المعادلة، ومع ذلك يجب أن يلاحظ أن حالة تفوق فيما بين الدولتين الكبيرتين تترجم نفسها على السياسة الدولية بمزيد من التوتر وتوسيع مناطق النفوذ على حساب الآخر، ولهذا يمكن ملاحظة التوسع السوفياتي الذي حصل في العشر سنوات الاخيرة في افريقيا وامريكا اللاتينية وبعض مناطق آسيا دليلا على انتقاله الى موقع متفوق نسبياً في مجال القوى العام.

ب ــ سباق على السيطرة على مناطق النفوذ خارج البلدان التي شملتها اتفاقيات يالطا، فالصراع في أوربا مقنن باتفاقات يالطا، ومع ذلك لايألو الطرفان جهداً عن ازعاج بعضهما في مناطق كل منهما فضلا عن الصراع المحتدم لتحقيق التفوق العسكري في الميدان الاوروبي. وهذا ماجعل مرحلة سياسة الوفاق تنتهي عندما قررت أمريكا زرع صواريخ بيرشينغ وكروز لمواجهة التفوق السوفياتي الاستراتيجي بسبب زرع صواريخ إس. إس. ٢ السوفياتية. مما جعل عام ١٩٨٤ يشهد وقفاً لمحادثات نزع السلاح، أما في المناطق الاخرى فقد استطاع السوفيات أن يحلوا محل امريكا في الهند الصينية و يوسعوا من نفوذهم في المحيط الهندي والهادي من حيث قوة الاساطيل وتوسعوا في افريقيا في اثيوبيا وانغولا وموزامبيق وازداد نفوذهم في عدد من الدول التي تقف في منتصف الطريق بين الدولتين، أما في الشرق الاوسط، فقد حقق السوفيات عدة نقاط هامة على امريكا خلال العام ١٩٨٤، ومن مظاهر ذلك:

١ً ــ طرد الماريز من لبنان (استفاد السوفيات من جهاد الشعب اللبناني والدور السوري).

٢ً ــ الغاء المعاهدة الاسرائيلية ــ اللبنانية التي تمت باشراف أمريكا. (اذا لم تحوز هاتان النقطتان بفعل الجهد السوفياتي الا أن السوفيات يفيدان منها في عملية الصراع مع امريكا في المنطقة).

٣ً ــ أخذ السوفيات يلعب الدور الاكبر في حرب الخليج بعد أن تعهد دعم جبهة العراق بكل قوة.

٤ً ــ لايمكن أن يسجل في مصلحة السياسة الامريكية في المنطقة خلال سنة ١٩٨٤ غير اخراج م. ت. ف. من لبنان، وما لاحقها من انقسامات وشلل وأزمات، وعودة وساطتها التي اصبحت غير مباشرة بين كل من اسرائيل ولبنان وسورية حول موضوع الانسحاب الاسرائيلي من الجنوب (يجب أن يسجل هنا تراجع في الموقف الاسرائيلي والامريكي). كما يمكن أن يسجل في مصلحتها تحسن في علاقاتها بالكيان الاسرائيلي وان كانت هذه العلاقات معرضة لمواجهة أزمة في حالة تقدم الادارة الامريكية بمشروع لتسوية الصراع مع الاردن في المرحلة القادمة على أمل استعادة المبادرة التي فقدتها.

ج ــ ثمة عدد من النقاط تشكل نقاط استنزاف لقدرة كل من الدولتين وسمعتها. فالاتحاد السوفياتي يواجه حرب استنزاف حقيقية لقواه وسمعته في مواجهة المقاومة الاسلامية الباسلة في افغانستان، و يواجه شيئاً من ذلك بصورة غير مباشرة في كمبوديا وأثيوبيا، كما أنه متورط في صراع مع شعوب بلدان أوروبا الشرقية، فاذا كان قد حقق بعض المكاسب باسكات صوت الشعب البولندي المستضعف، الا أنه مازال مستنزفاً، بأشكال مختلفة وكان آخره أزمته مع هونيكر في المانيا الشرقية. أما الولايات المتحدة الامريكية فهي مستزفه في امريكا اللاتينية خصوصاً في جبهتي نيكاراغوا والسلفادور ولم تنقذها جريمة اجتياح غرينادا من زيادة كفاح الشعوب في تلك المناطق ضدها. كما أن حركة السلام في العالم، خصوصاً في أوروبا الغربية والولايات المتحدة تستنزف سمعة كل من الدولتين الكبيرتين باعتبارهما تاجري حروب يهددان العالم بالدمار. فضلا عن وجود دول تحولت الى معسكرات لكل من الدولتين تستنزفان منها الكثير مثل الكيان الصهيوني بالنسبة لامريكا وكوبا وفيتنام بالنسبة للاتحاد السوفياتي.

د ــ تلعب الولايات المتحدة الامريكية دور المستغل الاول من الناحية الاقتصادية لشعوب العالم الثالث، وهي العقبة الرئيسية في المحافظة على النظام الاقتصادي العالمي الراهن والحيلولة دون اقامة نظام عالمي اقتصادي جديد، كما تطالب بلدان العالم الثالث، ولكن يجب أن يلاحظ أن الاتحاد السوفياتي واوروبا الغربية واليابان (بلدان الشمال عموماً) هم شركاء في النهب العالمي لموارد شعوب العالم (بلدان الجنوب) وامكاناته وطاقاته وشركاء في عرقلة اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد. فهذه الدول هي الدائن الاكبر الذي يشدد الخناق على الشعوب التي تكاد تعلن الافلاس بسبب تراكم الديون والفوائد (الربا العالمي).

هـ ــ يلاحظ نوع من التوافق أو اللقاء (ولو غير المباشر) في هجوم الدولتين الكبيرتين على الصحوة الاسلامية والثورة الاسلامية، فأعلامهما يقوم بدور متشابه في العداء للاسلام ومحاولة تشويهه والبحث عن سبل في مقاومته، فهما ان لم يكونا متفقين فغير متعارضين في حرب الخليج، وامريكا متواطئة حتى الاذان في حرب السوفيات ضد الشعب الافغاني أو حرب مانغستو مريام في حربه ضد الشعب المسلم الارتيري حيث نراهما في افغانستان، تعارض السوفيات بحدود ضعيفة جداً حتى عندما ضربت الطائرات السوفياتية ــ (الافغانية) في اراضي باكستان لم تحرك أمريكا ساكنا. أما النقطة الاخرى التي اتفقت عليها الدولتان فكانت اخراج م. ت. ف. من بيروت في العام ١٩٨٢ مقابل تنازل أمريكا للسوفيات في بولنده وفي وقف الضغط على اوروبا بالنسبة الى اتفاقية مد خط أنابيب الغاز من سيبيريا الى اوروبا الغربية.

و ـ تعاني كل من الدولتين الكبيرتين أزمات داخلية عميقة، وان كانت أزماتها ليست من طراز واحد. فأمريكا تعاني من البطالة والعجز في الميزان التجاري والمنافسة الاقتصادية العالمية. الى جانب التضخم والركود والمشاكل الاثنية الداخلية، أما السوفيات فيعانون من تدهور الزراعة الذي لاشفاء له في نظامهم ومن التخلف الصناعي أمام الغرب عدا في مجال التسلح، فضلا عن الأزمة مع الشعوب السوفياتية التي ضاقت ذرعاً من الاستبداد والعسكرية السوفياتية للاقتصاد وللسيطرة الروسية على الشعوب الاخرى.

الموقف الاوروبي:

يتسم الوضع في اوروبا بما يلي:

١ ـ تنقسم اوروبا أساساً الى منطقتي نفوذ شرقية ـ سوفياتية، وغربية ـ امريكية أو تنقسم بين حلفي وارسو والاطلسي، وثمة عدد قليل من البلدان المعلنة حيادها كالسويد وفنلندا وسويسرا.

٢ ـ انتكست نسبياً خلال ١٩٨٤ توجهات اوروبا الغربية لتشكيل كتلة ثالثة ولوضمن البناء تحت مظلة الحلف الاطلسي وذلك بعد أن حقق السوفيات تفوقاً استراتيجياً في مجال الاسلحة التقليدية والصواريخ المتوسطة المدى (اس. اس. ٢) في الميدان الاوروبي مما جعل اوروبا الغربية ترضخ للضغوط الامريكية في زرع صاروخاً من طراز كروز وبيرشينغ في اراضيها لاعادة التوازن النسبي. الامر الذي أفقدها القدرة على المناورة بين الدولتين الكبيرتين. وأصبحت أكثر أسراً لعملية سباق التسلح والتنافس بين الدولتين الكبيرتين، ولكن ذلك لم يمنع اوروبا أن تحافظ على هامش ولوصغير في محاولة العمل ككتلة. وهذا ماتترجمه تحركات ميتران الاوروبية.

٣ ـ قاسى الاقتصاد الاوروبي من التلاعب الامريكي بالفوائد على الدولار وضرب العملات الاوروبية، فضلا عن ازدياد المنافسة اليابانية، مما زاد من ظواهر التضخم والبطالة والركود. وكانت فرنسا الاكثر تدهوراً من الناحية الاقتصادية، بينما كانت المانيا الغربية الافضل حالا وبريطانيا فيما بينهما. فأوروبا التي كانت فيما مضى مصنع العالم وأكثر بلدانه تقدماً تقنياً، أصبحت في الدرجة الثالثة بعد أمريكا واليابان، كما أصبحت من الناحية العسكرية تحت الحماية الامريكية في وجه التفوق السوفياتي الساحق عليها.

٤ ـ نشطت فرنسا في لعب دور استعماري بقواتها العسكرية في تشاد، كما وضعت ثقلا كبيراً في حرب الخليج الى جانب العراق، بينما حاولت المانيا الغربية التوصل الى اتفاق مع المانيا الشرقية على حساب امريكا والسوفيات مما ولد أزمة بين المانيا الشرقية والاتحاد السوفياتي انتهت الى فشل تلك المحاولة بعد ان أصابت نجاحاً نسبياً. أما موضوع بولنده فلم يعد قضية ملتهبة بعد

صفقات ربيع وصيف ١٩٨٢ في لبنان واوروبا.

٥ ـ يلعب الاعلام الاوروبي الغربي دوراً نشطاً ضد الاسلام والصحوة الاسلامية، وان حاولت كل من المانيا وبريطانيا وبلدان أوروبية اخرى الافادة الاقتصادية من الثورة الاسلامية في ايران.

٦ ـ تراجع الموقف الاوروبي من جهة الاهتمام بـ م. ت. ف. وقضية لبنان، وهو ينتظر الآن مايسفر عنه الصراع الدائر في لبنان والصراع الدائر على الساحة الفلسطينية. ويبدو أن محاولات بعض الدول العربية نفخ روح الحماس في أوروبا لتلعب دوراً في منطقة الشرق لايلتقي مع التقاعس الاوروبي أمام ضغط الدولتين الكبيرتين وتراجع أوروبا في ظروف التوتر الدولي المتفاقم.

الموقف في الصين:

مع التغيرات التي تزعمها (دنغ تساو ينغ) لازالة آثار الثورة الثقافية، اتسمت السياسة الصينية:

١ ـ المحافظة على نظرية العوالم الثلاث دون أن تجعل قضية العالم الثالث قضيتها أو الصراع مع الدولتين الكبيرين نقطة مركزية في سياستها الخارجية وانما انتقلت الى سياسة تحسين العلاقات مع السوفيات والامريكان ومحاولة تحسين علاقاتها مع العالم الثالث واوروبا (بما في ذلك اوروبا الشرقية والاحزاب الشيوعية الاوروبية، خصوصاً الايطالي) وهي لهذا تعارض سياسة السيطرة من قبل الدولتين الكبيرتين دون الاصطدام بهما أو بأحدهما بل ضمن تطبيع العلاقات معهما، وهي تؤيد بلدان العالم الثالث في نقاط عديدة ولكن دون حمل السلم بالعرض كما يقولون بالنسبة لتلك القضايا.

٢ ـ تشكل المعركة مع فيتنام بما في ذلك مسألة دعم ثورة الشعب الكمبودي ضد الاحتلال الفيتنامي محوراً رئيسياً في السياسة الصينية وعلى مستوى أقل، استنكار الاحتلال السوفياتي لأفغانستان.

٣ ـ الموقف من الاسلام والصحوة الاسلامية، يحمل كثيراً من التحفظ، والتردد وهو يشارك الغرب والشرق في كثير من آرائه حول هذا الموضوع الهام والمركزي في السياسة الدولية.

٤ ـ تشكل التغيرات الجديدة في الاقتصاد الصيني مثل القضايا المتعلقة بالحوافز والملكية الخاصة المحدودة والسوق وادخال أشكال في ادارة الاقتصاد على أسس شراكة تعاونية، ادانة اضافية الى الغلو في الفكر الماركسي حول رفض الملكية الفردية والتنكر للحوافز الفردية أو للسوق الحرة نسبياً أو في التوسع بملكية الدولة لوسائل الانتاج وتحكم الحزب في السياسة والدولة من الناحية الاقتصادية. ان السلبيات التي افرزها الواقع التاريخي على نطاق مختلف الدول الاشتراكية التي سارت على النهج الماركسي ـ اللينيني في تنظيم الاقتصاد، أثبتت أن الاقتصاد يحتاج الى اقامة توازن في مجالات انواع الملكية وفي السوق

والتجارة، وفي الحوافز الفردية ؛الجماعية وفي العلاقة بين الدولة والمجتمع على عكس ذلك الغلو في تأميم وسائل الانتاج عموماً وجعل الدولة المتحكم في الملكية والحياة الاقتصادية بما في ذلك التجارة والسوق، ان التجربة الصينية التي تمضي الان باتجاه التخفيف من ذلك الغلو واعادة التوازن النسبي، وهي تجربة من «انجح» التجارب الاقتصادية نسبياً على نطاق البلدان التي انتهجت الطريق الماركسي في تنظيم اقتصادها وادارة الدولة والمجتمع لن تحل المعضلة، لأن هذه التغيرات تظل في نطاق الترقيع مادامت لم تتطرق الى مناقشة صلب النظرية الاقتصادية التي تقوم عليها، فثمة فرق بين محاولة تحقيق بعض التوازن تحت ضغط السلبيات والنتائج الضارة لنظرية اقتصادية فعالية وبين نقد تلك النظرية من اساسها واعادة الصياغة النظرية على أساس نظرية التوازن المناقضة لنظرية الغلو الرأسمالي ـ الاشتراكي (راسمالية دولة في حقيقته).

اليابان وجنوب شرق آسيا:

مازالت اليابان من الناحية السياسية والاقتصادية وفي علاقاتها الدولية تعمل ضمن شروط الصلح التي فرضت عليها نتيجة الحرب العالمية الثانية الامر الذي جعلها تنمو بصورة غير متوازنة فهي متقدمة للغاية من الناحية التقنية والانتاجية (تتفوق على امريكا واوروبا والاتحاد السوفياتي في عدة مجالات صناعية وتقنية) ولكنها من ناحية أخرى ضعيفة جداً عسكرياً ولا دوراً سياسياً دولياً لها. ولكنها تحاول الآن التخفيف من هذا اللاتوازن من خلال التوسع ببعض الصناعات العسكرية بسبب حاجة أمريكا وأوروبا الى أضعاف الاقتصاد الياباني بتحويل جزء من رأسماله الى الصناعات العسكرية. أما الظاهرة الاخرى اللافتة للنظر فهي السرعة التي أخذت تنمو فيها نهضة اقتصادية في عدد من بلدان جنوب شرق آسيا مثل تايوان وكوريا الجنوبية وسنغافورة. مما يجعل من المشروع توقع انتقال مركز الثقل لعدد من الصناعات الى تلك المناطق خلال العشرين سنة القادمة، مما سيدخل العالم في دورة جديدة من المنافسة، وذلك على الرغم من أن رؤوس الاموال الامريكية والاوروبية وراء نمو عدد من الصناعات في تلك المناطق بسبب رخص الايدي العاملة وربما لمنافسة الصناعات اليابانية أيضاً.

حركة عدم الانحياز:

أدى انتقال قيادة حركة عدم الانحياز من كوبا الى الهند، الى اعادة الدور النشط لحركة عدم الانحياز مما جعلها تتوازن اكثر في مواقفها وقد اثر ذلك على سياسة الهند نفسها التي اصبحت اكثر توازناً في سياستها الخارجية لتنسجم مع زعامتها لهذه الحركة الدولية، ولكن مع ذلك فأن حركة عدم الانحياز غير قادرة على تشكيل كتلة ثالثة مستقلة عن الدولتين الكبريين اوعن الاحلاف العسكرية الغربية والشرقية لما في ذلك في مجالات التعاون الاقتصادي والسياسي ومواجهة

القضايا العالمية الملتهبة. فحركة عدم الانحياز بأستثناء عدد قليل من البلدان تعاني من النفوذ الامريكي والسوفييتي والاوروبي على عدد غير قليل من اعضائها مما جعل دورها يقتصر على ممارسة ضغوط معنوية في المجال الدولي والقيام بالتنسيق فيما بين دولها حول قضية العنصرية في جنوب افريقيا وقضية فلسطين ونيكاراغوا وبعض المواقف في هيئات الامم المتحدة اما عدا ذلك فهي غير قادرة عملياً للتحرك ككتلة واحدة فمع ذلك تظل حركة عدم الانحياز منبراً هاماً للبلدان المستضعفة تعبر من خلاله عن بعض مصالحها وسياساتها في مواجهة الطواغيث الدوليين وعملائهم المباشرين.

العالم الاسلامي:

نظراً لتجزئة البلدان الاسلامية التي فرضتها الدول الاستعمارية وخاصة التجزئة في البلدان العربية ثم استمرار نفوذ الدول الكبرى على الانظمة العلمانية التي قامت في تلك البلدان، لم يعد من الممكن لبلدان العالم الاسلامي ان تتحرك ككتلة واحدة، معبرة في ذلك عن ارادة الامة الاسلامية الواحدة فهي صورة مشوهة للاسم الذي تحمله، مما جعلها اقل اهمية في المجال الدولي وجعل دورها في نصرة قضايا المسلمين ناهيك عن قضايا المستضعفين دوراً هزيلا، ان لم يكن سلبياً في عمومه، فالصحوه الاسلامية التي سرت في عروق الامة الاسلامية من طنجة الى جاكارتا انعكست على الانظمة العلمانية للبلدان الاسلامية هلعاً وخوفاً من الاسلام وارادة شعوبه الطامحة الى الوحدة والاستقلال واقامة العدل وتحرير الاجزاء المغتصبة من الارض الاسلامية خاصة فلسطين وقد اثبتت منظمة الوحدة الاسلامية فشلا وهزالا في معالجة قضية فلسطين، او دعم ثورة شعب افغانستان، ولم يعد لها من نشاط يذكر الا عندما يتعلق الامر لوقف الحرب في الخليج، مما جعل هذه الكتلة متخلفة حتى عن حركة عدم الانحياز ولاشك في ان الوضع العربي قد لعب دوراً سياسياً في ايصالها الى هذا الوضع المزري على الرغم من ان مجرد وجود تجمع للبلدان الاسلامية يحمل مغزى من حيث كونه شهادة على وحدة الامة الاسلامية كما يجب ان تمارس عليها الضغوط لتلعب دوراً ما حتى من الناحية الشكلية، في دعم الجهاد في فلسطين وافغانستان.

الحرب في الخليج:

تشكل الحرب في الخليج عقدة مركزية في وضع الشرق الاوسط والعالم. مما سيتوقف على حسمها أو وقفها نتائج ستغير من ملامح الوضع الدولي الراهن، والأرجح أن طريقها متجه نحو الاستمرار أو الحسم، ولكنها غير متجهة نحو التوقف وفق ما ترمي اليه المساعي الدولية.

حركات التحرر:

يتسم الوضع الدولي في الثمانينات من ناحية الحركات التحريرية والشعبية بما يلي:

أ ـ انتقل مركز الثقل في صراع حركات التحرير الى الارض الاسلامية، وتحت قيادات اسلامية، خصوصاً بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران واندلاع الثورة الاسلامية

المقاومة للاحتلال السوفياتي في افغانستان، وانتشار الصحوة الاسلامية المجاهدة في طول البلاد الاسلامية وعرضها، مما جعل السجون وأقبية التعذيب تفتح أبوابها لتستقبل قوافل الشباب المسلم في كثير من البلدان الاسلامية، وترك حكام الانظمة العلمانية في حيرة من أمرهم حول مقاومة هذه الظاهرة، وأطلق العنان لأجهزة الاعلام العالمية والمحلية على مواجهة هذا الوضع الجديد، ومن هنا تحتدم الان على نطاق العالم المعركة ضد الاسلام المجاهد، بينما تدخل الحركات الاسلامية طوراً جديداً، لا يخلو من أزمات وصعوبات ومعضلات، لمواجهة تحديات هذه المعركة، ولعل من مظاهر تلك الازمات وجود عدم التناسب بين الصحوة الشعبية الاسلامية الواسعة و بين البرامج السياسية للحركات الاسلامية التي تتصدى لقيادة تلك الصحوة.

٢ ــ تشهد الحركات الوطنية العلمانية واليسارية في البلدان الاسلامية خصوصاً، البلاد العربية، حالة تراجع شديد من الناحية الشعبية وحالة تأكل داخلية وانحلال بسبب التصاقها بالانظمة القمعية والمنافقة في كثير من الجوانب حتى لبرامج تلك الحركات. وان ما جرى على الساحة الفلسطينية ليعطي صورة على وضع تلك الحركات وكذلك بالنسبة الى ما كان يسمى جبهة التصدي والصمود، فان هذه الحركات لم تعد تملك شعارات و برامج تطرحها على الناس لاجتذابهم ودعوتهم للنضال من أجل قضية، وانما أصبحت تعتمد على السياسيين المحترفين وعلى الدعم من الدول بما في ذلك الدعم الدولي الخارجي.

٣ ــ ان انتكاسة الفكر العلماني المتغرب (الليبرالي واليساري) في بلدان العالم الثالث تشكل ظاهرة عالمية في هذه المرحلة، مما ولد ظاهرة عالمية أخرى مقابلة لدى شعوب العالم الثالث تتسم بمحاولة البحث عن الجذور والعودة الى التاريخ والسمات الحضارية للشعب وهذه الظاهرة موجودة في الهند وفي جنوبي شرقي أسيا، كما في أفريقيا ولدى الهنود الحمر في أمريكا اللاتينية، ويمكن أن يدخل ضمن نطاق هذه الظاهرة النشاط الكاثوليكي في بعض حركات التحرير في أمريكا اللاتينية.

٤ ــ تشهد حركات «اليسار الاوروبي ــ الامريكي» الشاب انتكاسة عما كانت عليه في أواخر الستينات وفي السبعينات، فهذا اليسار عاش ونما على دعم حركات التحرير والثورات المسلحة في العالم الثالث ولكنه أربك عندما انتقل مركز الثقل في تلك الحركات الى الارض الاسلامية، و بقيادات اسلامية، حيث لم يعد يجد في قادة تلك الحركات أصواتاً تردد شعاراته وأفكاره، وهو لهذا لم يستطع أن يتعامل مع الثورة الاسلامية في ايران كما تعامل مع الثورة الثقافية في الصين، ولم يستطع التعامل مع ثورة أفغانستان كما تعامل مع ثورة فيتنام، ولم يستوعب الجهاد الاسلامي في لبنان ضد قوات المارينز، كما استوعب ثورة كمبوديا ضد أمريكا وعملائها،

ثم ارتبك أكثر أمام ما يجري في الساحة الفلسطينية منذ صيف ١٩٨٢، خصوصاً مع المواقف الغامضة التي اتخذها الاتحاد السوفيتي من اخراج (م. ت. ف) من بيروت وطرابلس. طبعاً هناك أسباب أخرى جعلت هذا اليسار ينكفيء الان الى الخلف ولا يجد أمامه غير دعم حركات السلام التي كان يعتبرها يمينية وغير ثورية، ومن هنا من المتوقع في المرحلة القادمة بروز نشاط أكبر لحركات السلام مركزة لا على فلسطين أو أفغانستان مثلا وانما على أمريكا اللاتينية وعلى مقاومة مشاريع سباق التسلح بين الدولتين الكبريين.

العالم المستضعف:

يواجه العالم المستضعف ــ والمقصود هنا العالم الثالث ــ سلسلة من الازمات أهمها:

أ ــ أزمة الاستقلال والتبعية: لم يكن من المتصور قبل عشرين عاماً أو ثلاثين عاماً أن العالم الثالث عموماً سيغرق بالتبعية للدول الكبرى بعد بضع سنوات من قبل بلدانه لاستقلالها السياسي، فقد كان من المتصور أن مشكل التبعية قائم بسبب السيطرة الاستعمارية المباشرة، فما أن تطرد قوات الاحتلال الاستعمارية أو تلغى المعاهدات التي كانت تقيد استقلال البلاد حتى تبدأ الشعوب طريقها الاستقلالي مبتدئاً بالاستقلال السياسي ومنتهياً الى الاستقلال الاقتصادي، ولكن أثبتت التجربة العالمية بالنسبة الى أغلب بلدان العالم الثالث أن نيل الاستقلال السياسي لم يؤدي الى الاستقلال الاقتصادي ولا حتى الى الاستقلال السياسي نفسه، بل أصبح من المسلم به الأن على نطاق عالمي أن تبعية دول العالم الثالث للدول الكبرى أصبحت من ناحية واقعية أقوى مما كانت عليه في أثناء الاستعمار المباشر، و يظهر هذا جلياً في حجم الديون الخارجية التي أخذت ترزح تحتها تلك البلدان، وقد بلغت العام الفائت ما يزيد على سبعماية وخمسين بليون دولار، مما يعني أن لا أمل بالخلاص من هذه الديون ولا حتى من تجميدها عند هذا الحد طالما قانون الربا العالمي استمر يراكم الفوائد فوق تلك الديون.

وغني عن القول أن البلد المدين بعشرات المليارات لا يستطيع أن يتحدث عن استقلال حقيقي، وكيف يكون الحال حين يكون ذلك البلد معتمداً على قوته، وأغلب سلعه التي يستخدمها على الخارج، مما يعني أن التبعية للمراكز الطاغوتية العالمية أصبحت أقوى من ذلك الزمن الذي كان فيه الاستعمار المباشر يأخذ فوائض المواد الغذائية من المستعمرات.

يمكن القطع أن السبب في تفاقم الازمة ناجم عن الانخراط في اطار الحضارة الغربية ونظامها الاقتصادي ــ السياسي ــ الثقافي العالمي الراهن، وهو اطار يحتم تبعية أغلب بلدان العالم للمراكز الاقوى عسكرياً ومالياً وانتاجاً، فالسير على نمط الدولة الغربية الحديثة والانخراط في نمط المجتمع الاستهلاكي الغربي، وتبني برامج التفكير التقريبي في التنمية يشكل السبب الاساسي في استفحال أزمة فقدان

الاستقلال وتعمق التبعية في أغلب بلدان العالم المستضعف. الامر الذي يتطلب ثورة جذرية على هذه الحضارة والسير على طريق بعيد عن نمط الدولة الغربية الحديثة ونمطها المجتمعي الاستهلاكي و برامجها التنموية الوهمية.

٢ ــ أزمة الديون.. وأزمة التنمية: ان العالم الثالث اليوم غارق في أزمة ديون تهدد الكثير من البلدان باعلان افلاسها ورهن استقلالها في المزاد. كما أن وصول ذلك العالم الى حد يستحيل معه سداد تلك الديون أخذ يهدد الاقتصاد العالمي كله بأزمة كبيرة.. ان مشكلة الديون العالمية المذكورة والناجمة أساساً عن نظام الربا أو لكونها تعتمد أساساً على الربا قد أثبتت أن الربا في محصلته النهائية قد يؤدي، الى تعطيل الاقتصاد العالمي، هذا فضلا عن نتائجه المدمرة بالنسبة للدول المدنية، لذلك كان الجواب الاسلامي لهذه الازمة عالم بلا ربا هو الجواب الصحيح حتى من الزاوية الاقتصادية الصرف. كذلك بالنسبة الى ما أثبتته التجربة من بطلان مشاريع التنمية التي قامت على أساس الفكر المتغرب «الليبرالي واليساري» حيث أزدادت هوة التخلف وازدادت الفروقات بين الدول المتقدمة والدول النامية وأصبحت عملية ردم هذه الهوة غير ممكنة ما دام بلدان العالم المستضعف تلعب ضمن قوانين اللعبة التي فرضتها دول الاستكبار العالمي، وهنا أيضاً يأتي الجواب الاسلامي على موضوع التنمية منارة هادية بالنسبة الى بلدان العالم المستضعف أي ضرورة شق الطريق المستقل الثالث الذي لا يسير على النهج الرأسمالي أو النهج الماركسي الاشتراكي أي لا بد من تغيير جوهر كنظرة الى الحياة، وامتلاك عقيدة أخرى غير عقيدة الركض وراء القوة المادية والثروة المادية والتنمية الانتاجية. وذلك لكي تقوم عملية التنمية ضمن اطار أخر مختلف أهدافاً واتجاهاً ووسائل ومنهجاً بما هو جار في برامج التنمية الرأسمالية أو الاشتراكية الماركسية.

أزمة الفقر والمجاعات:

ان استفحال أزمة المجاعة في أفريقيا.. واستفحال أزمة مئات الملايين من البشر الذين يعيشون تحت حزام الحد الادنى من الغذاء المطلوب ليشكلان ادانة صارخة لحضارة الغرب (بشقيها)، وبما أفرزته من نظام اقتصادي عالمي. فالمجاعة التي تهدد مئات الالوف وربما الملايين في أثيوبيا ليست ناجمة في أساسها من الجفاف أو الاسباب البيئية، فهكذا جاءت كشافاً لازمة أعمق تقع مسؤوليتها على النظام التقدمي الماركسي ــ اللينيني نفسه في أثيوبيا، ويجب أن نذكر أن هذا النظام نفسه قام بانقلابه على هيلاسلاسي بعد مجاعة اجتاحت أثيوبيا بعد جفاف فاتهمته مسؤولا عن تلك المجاعة ولم تعتبر الجفاف السبب الحاسم فيها. وهكذا يشاء ربك أن يأتي الجفاف الثاني ليكشف النمط الاجتماعي ــ الاقتصادي الاخر أيضاً. ان الزراعة في أثيوبيا تدهورت أكثر من ذي قبل

في ظل النظام الماركسي ــ اللينيني، وهو أمر شائع في أغلب التجارب المباشرة بما في ذلك الاتحاد السوفياتي نفسه. والانكى أن تأتي هذه المجاعة حتى تمتد أيدي التسول الاثيوبية الى البلدان الرأسمالية ولا تجد كفاية من البلدان الشقيقة. ثم تأتي فضيحتان تكشفان عن زيف هذه الانظمة، الاولى، أن قسماً من المساعدات التي قدمت لأثيوبيا حولت الى الاتحاد السوفياتي سداد لديون وأسلحة.

والفضيحة الثانية، أن رئاسة الجمهورية قدمت طلبية بنصف مليون استرليني و يسكي من بريطانيا، وبهذا يكون القطب الاخر المسؤول عن الفقر والمجاعة العالميين يكمن بالقيادات العلمانية التابعة للغرب بشقيه والمتحكمة في شؤون الدولة والمجتمع والاقتصاد، بكلمة أخرى، أن الاسباب البيئية للمجاعة هي مجرد كشاف لفصل القطبين العالميين الجهنميين اللذين يطحنان شعوب العالم المستضعفة: قطب مراكز الاستكبار العالمي وقطب الانظمة العلمانية ــ الليبرالية أو اليسارية المتحكمة برقاب الشعوب، ومن هنا أيضاً لا خلاص من هذه الازمة الا بثورة العالم المستضعف على هذين القطبين.

أزمات مراكز الاستكبار العالمي:

في المقابل تعشعش سلسلة أزمات في داخل مراكز الاستكبار العالمي نفسه، فالى جانب أزمة التنازع المميت بين هذه المراكز، خصوصاً فيما بين السوفيات والامريكيين وما قد تفرزه من حرب عالمية مدمرة، فان هنالك أزمات ذات رؤوس متعددة بعضها يحمل طابعاً اقتصادياً كظاهرة ازدياد البطالة والتضخم والركود (العالم الرأسمالي) أو زيادة الاختلاسات الاقتصادية والمتدهورة في عدد من الصناعات وتدهور في الزراعة (الاتحاد السوفياتي) وكظاهرة ازدياد الجرائم ــ القتل، الاختلاس، الاغتصاب، السرقات (مشتركة بين النظامين)، او ظاهرة ازدياد الانحرافات كالسكر والادمان والتفسخ الاخلاقي والعائلي المشتركة بين النظامين.. او ظاهرة القلق النفسي والخوف من المستقبل والشعور بالوحدة والاغتراب وماتولده من انهيارات نفسية وحالات مرضية متنوعة (مشتركة بين النظامين) او ظاهرة ازمة الصراعات العنصرية والاثنية او القومية حيث اخذت مجتمعات النظامين الرأسمالي والاشتراكي تتكشف عن جملة انقسامات داخلية بسبب اللون او الجنس او اللغة او الاصول او القوميات او مشاكل الاقليات، فهذه المجتمعات تقوم على اساس سيطرة عصبية قوية عن العصبيات الاخرى وهي ابعد ماتكون عما تدعيه من مساواة مواطنية او اقامة العدل في مابين ابناء تلك المجتمعات، ان مجموعة هذه الازمات سوف تفجر في داخل تلك المجتمعات سلسلة حركات لمواجهتها ومعالجتها وستكون سبباً في تفجير الفطرة في عدد لايستهان به من الناس مما سيكون اساساً لعالمية جديدة يتضامن فيها مستضعفوا العالم فيما بينهم.

الاستقلال وتعمق التبعية في أغلب بلدان العالم المستضعف. الامر الذي يتطلب ثورة جذرية على هذه الحضارة والسير على طريق بعيد عن نمط الدولة الغربية الحديثة ونمطها المجتمعي الاستهلاكي وبرامجها التنموية الوهمية.

٢ ـ أزمة الديون.. وأزمة التنمية: ان العالم الثالث اليوم غارق في أزمة ديون تهدد الكثير من البلدان باعلان افلاسها ورهن استقلالها في المزاد. كما أن وصول ذلك العالم الى حد يستحيل معه سداد تلك الديون أخذ يهدد الاقتصاد العالمي كله بأزمة كبيرة.. ان مشكلة الديون العالمية المذكورة والناجمة أساساً عن نظام الربا أو لكونها تعتمد أساساً على الربا قد أثبتت أن الربا في محصلته النهائية قد يؤدي الى تعطيل الاقتصاد العالمي، هذا فضلا عن نتائجه المدمرة بالنسبة للدول المدنية، لذلك كان الجواب الاسلامي لهذه الازمة عالم بلا ربا هو الجواب الصحيح حتى من الزاوية الاقتصادية الصرف. كذلك بالنسبة الى ما أثبتته التجربة من بطلان مشاريع التنمية التي قامت على أساس الفكر المتغرب «الليبرالي واليساري» حيث أزدادت هوة التخلف وازدادت الفروقات بين الدول المتقدمة والدول النامية وأصبحت عملية ردم هذه الهوة غير ممكنة ما دام بلدان العالم المستضعف تلعب ضمن قوانين اللعبة التي فرضتها دول الاستكبار العالمي، وهنا أيضاً يأتي الجواب الاسلامي على موضوع التنمية منارة هادية بالنسبة الى بلدان العالم المستضعف أي ضرورة شق الطريق المستقل الثالث الذي لا يسير على النهج الرأسمالي أو النهج الماركسي الاشتراكي أي لا بد من تغيير جوهر كنظرة الى الحياة، وامتلاك عقيدة أخرى غير عقيدة الركض وراء القوة المادية والثروة المادية والتنمية الانتاجية. وذلك لكي تقوم عملية التنمية ضمن اطار آخر مختلف أهدافاً واتجاهاً ووسائل ومنهجاً بما هو جار في برامج التنمية الرأسمالية أو الاشتراكية الماركسية.

أزمة الفقر والمجاعات:

ان استفحال أزمة المجاعة في أفريقيا.. واستفحال أزمة مئات الملايين من البشر الذين يعيشون تحت حزام الحد الادنى من الغذاء المطلوب ليشكلان ادانة صارخة لحضارة الغرب (بشقيها)، وبما أفرزته من نظام اقتصادي عالمي. فالمجاعة التي تهدد مئات الالوف وربما الملايين في أثيوبيا ليست ناجمة في أساسها من الجفاف أو الاسباب البيئية، فهكذا جاءت كشافاً لازمة أعمق تقع مسؤوليتها على النظام التقدمي الماركسي ـ اللينيني نفسه في أثيوبيا، ويجب أن نذكر أن هذا النظام نفسه قام بانقلابه على هيلاسلاسي بعد مجاعة اجتاحت أثيوبيا بعد جفاف فاتهمته مسؤولا عن تلك المجاعة ولم تعتبر الجفاف السبب الحاسم فيها. وهكذا يشاء ربك أن يأتي الجفاف الثاني ليكشف النمط الاجتماعي ـ الاقتصادي الاخر أيضاً. ان الزراعة في أثيوبيا تدهورت أكثر من ذي قبل

في ظل النظام الماركسي ـ اللينيني، وهو أمر شائع في أغلب التجارب المباشرة بما في ذلك الاتحاد السوفياتي نفسه. والانكى أن تأتي هذه المجاعة حتى تمتد أيدي التسول الاثيوبية الى البلدان الرأسمالية ولا تجد كفاية من البلدان الشقيقة. ثم تأتي فضيحتان تكشفان عن زيف هذه الانظمة، الاولى، أن قسماً من المساعدات التي قدمت لأثيوبيا حولت الى الاتحاد السوفياتي سداد لديون وأسلحة.

والفضيحة الثانية، أن رئاسة الجمهورية قدمت طلبية بنصف مليون استرليني و يسكي من بريطانيا، وبهذا يكون القطب الاخر المسؤول عن الفقر والمجاعة العالميين يكمن بالقيادات العلمانية التابعة للغرب بشقيه والمتحكمة في شؤون الدولة والمجتمع والاقتصاد، بكلمة أخرى، أن الاسباب البيئية للمجاعة هي مجرد كشاف لفصل القطبين العالميين الجهنميين اللذين يطحنان شعوب العالم المستضعفة: قطب مراكز الاستكبار العالمي وقطب الانظمة العلمانية ـ الليبرالية أو اليسارية المتحكمة برقاب الشعوب، ومن هنا أيضاً لا خلاص من هذه الازمة الا بثورة العالم المستضعف على هذين القطبين.

أزمات مراكز الاستكبار العالمي:

في المقابل تعشعش سلسلة أزمات في داخل مراكز الاستكبار العالمي نفسه، فالى جانب أزمة التنازع المميت بين هذه المراكز، خصوصاً فيما بين السوفيات والامريكيين وما قد تفرزه من حرب عالمية مدمرة، فان هنالك أزمات ذات رؤوس متعددة بعضها يحمل طابعاً اقتصادياً كظاهرة ازدياد البطالة والتضخم والركود (العالم الرأسمالي) أو زيادة الاختلاسات الاقتصادية والمتدهورة في عدد من الصناعات وتدهور في الزراعة (الاتحاد السوفياتي) وكظاهرة ازدياد الجرائم ـ القتل، الاختلاس، الاغتصاب، السرقات (مشتركة بين النظامين)، او ظاهرة ازدياد الانحرافات كالسكر والادمان والتفسخ الاخلاقي والعائلي المشتركة بين النظامين.. او ظاهرة القلق النفسي والخوف من المستقبل والشعور بالوحدة والاغتراب وماتولده من انهيارات نفسية وحالات مرضية متنوعة (مشتركة بين النظامين) او ظاهرة ازمة الصراعات العنصرية والاثنية او القومية حيث اخذت مجتمعات النظامين الرأسمالي والاشتراكي تتكشف عن جملة انقسامات داخلية بسبب اللون او الجنس او اللغة او الاصول او القوميات او مشاكل الاقليات، فهذه المجتماعات تقوم على اساس سيطرة عصبية قوية عن العصبيات الاخرى وهي ابعد ماتكون عما تدعيه من مساواة مواطنية او اقامة العدل في مابين ابناء تلك المجتمعات، ان مجموعة هذه الازمات سوف تفجر في داخل تلك المجتمعات سلسلة حركات لمواجهتها ومعالجتها وستكون سبباً في تفجير الفطرة في عدد لايستهان به من الناس مما سيكون اساساً لعالمية جديدة يتضامن فيها مستضعفوا العالم فيما بينهم.

ملف الناصرية

لعله من المفيد أن نفتح هنا ملف الناصرية حيث أن عبد الناصر قد أسهم بشكل رئيسي في صنع أحداث المنطقة لمدة تزيد عن عقد ونصف من الزمن مرت فيها الأمة بمراحل دقيقة واحداث جسام.

إن أهمية تقييم الناصرية تكمن في سببين رئيسيين:

– وجود قطاع في الشارع السياسي العربي يطرح رؤية سياسية واقتصادية واجتماعية محددة ويطلق على نفسه التيار الناصري.

– أرتباط أسم عبد الناصر بقضايا مصيرية عاشتها الأمة ومازالت تعيشها حتى الآن مثل الموقف من الأستعمار – من الصهيونية قضايا التغيير الاجتماعي – قضية الوحدة العربية – قضية شكل النظام السياسي في الأقطار العربية.

وسوف نعتمد بشكل أساسي على المواقف العملية التي وقفها عبد الناصر وكذلك تصريحاته وخطبه.

عبد الناصر في السلطة

حكم عبد الناصر مصر عمليا منذ ١٩٥٤ وحتى ١٩٧٠ ولكي نستطيع أن نقيم التجربة سوف نركز على مجموعة من القضايا على النحو التالي:

● الظروف التي سبقت عبد الناصر مباشرة في المنطقة عموماً ومصر خصوصاً.
● موقف عبد الناصر من الصراع العربي الأسرائيلي.
● موقف عبد الناصر من المقاومة الفلسطينية
● موقف عبد الناصر من الاستعمار
● موقف عبد الناصر من شكل التنمية الأقتصادية
● موقف عبد الناصر من القيم الأجتماعية
● موقف عبد الناصر من الوحدة العربية
● موقف عبد الناصر من العالم الأسلامي
● موقف عبد الناصر من شكل النظام السياسي.

الظروف التي سبقت عبد الناصر في المنطقة وفي مصر

إنَّ أهمية دراسة تلك الظروف تكمن في حقيقة علمية وجوهرية وهي أن الحكم على أي تجربة لا يمكن أن يكون صحيحاً الا بدراسة الظروف التي نشأت فيها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن دراسة الوضع السابق لعبد الناصر يجيب على سؤال خطير «هل تقدم عبد الناصر بالأمة والجماهير الى الأمام في حسم قضاياها أم العكس؟».

في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات كانت المنطقة تغلي بالغضب والثورة وكانت الأمة تمارس نضالها ضد الأستعمار والأنظمة العميلة. كانت كل الأنظمة في المنطقة قد فقدت شرعيتها وأهتزت بعنف وخصوصا بعد نكبة ١٩٤٨ ولم تعد قادرة على الأستمرار. كان التغيير قادماً لا محالة. وكانت الجماهير قد وعت ظروفها جيداً ووسائل عملها وأصبحت تمارس النضال ليلاً ونهاراً. ضد الأستعمار – ضد الصهيونية – ضد الظلم الاجتماعي والأقتصادي وضد الأستبداد السياسي. كانت الجماهير قد بدأت في تنظيم نفسها أسلاميا بعد أن فقدت الثقة تماماً في كل أنظمة النكبة. وكان من الواضح أن زمام المبادرة قد أصبح بيد الجماهير ولنأخذ مصر كمثال.

في ١٩٥٠ وقع نحو ٤٩ أضراباً عمالياً.. غطت جميع المصانع تقريباً وشارك فيها نحو ٤٢ نقابة.

[أنظر كتاب الأستاذ طارق البشري «الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢» الطبعة الثانية – ١٩٨١م – دار الشروق].

في عام ١٩٥١ حدثت انتفاضات فلاحية بقيادة أئمة المساجد وبعض قيادات الأتجاه الأسلامي

وخصوصا في قرى كفور نجم – بهوت – ميت نضالة.

[أنظر كتاب «دور الحركة الأسلامية في تصفية الأقطاع» محمد مورو قرقر – دار البحوث العلمية ١٩٨٠].

مظاهرات طلابية مستمرة في ١٩٥٠، ١٩٥١ ولم تنقطع أطلاقا ووصول الأتجاه الأسلامي الى رئاسة أتحاد الطلاب وخصوصا جامعة القاهرة (جامعة فؤاد وقتها).

مشاركة البوليس في القتال ضد الأنجليز في القناة. وكذلك تطوع بعض ضباط الجيش للقتال في صفوف المجاهدين المسلمين ضد الاحتلال الانجليزي في القناة. «مقدمات ٢٣ يوليو – الرافعي».

أنضمام البوليس الى قطاعات الشعب في التظاهر ضد الأوضاع القائمة وخصوصا يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ «الرافعي مصدر سابق».

اضراب الكونستبلات «احد فروع البوليس في مصر». «الرافعي مصدر سابق».

قيام حركة جهادية من الشباب المسلم ضد الأنجليز في القناة والتل الكبير والتورين وسقوط العديد من الشهداء وتحقيق ضربات قاصمة للأحتلال.

[حسن دوح – دور الشباب المسلم في الكفاح المسلح ضد الأنجليز في القناة – دار القلم ١٩٧٥م]

وللوهلة الأولى يتضح أتساع الحركة الجماهيرية وحيويتها وأن مؤسسات النظام (أستعمار – ملك – أضراب علمانية) لم تعد قادرة على احتمالها وحتى حزب الوفد «مقاول الجماهير التقليدي» والذي يصعد الى السلطة دائماً في حالات المد الجماهيري ليقوم بأمتصاص ذلك المد لم يستطع أن يطوق تلك الحركة أو يمتصها (حكومة الوفد ١٩٥١). كانت الحركة أوسع واكبر من أن يتم إحتواؤها داخل مؤسسة النظام بما فيها الوفد.

ولقد حددت الجماهير مطالبها كما يقول الأستاذ طارق البشرى في المرجع المذكور «الغاء الملكية – الجلاء التام – الكفاح المسلح ضد الصهيونية – القضاء على الأقطاع والرأسمالية» ص ٥١٥.

وهكذا كان الوضع في حالة أزمة. نظام لم يعد قادرا على الأستمرار. جماهير تملك زمام المبادرة – كفاح مسلح – أنتفاض عمالي وفلاحي وطلابي – تنظيمات أسلامية خارج أطار النظام.

والنتيجة الطبيعية لكل هذا هو أنتصار الجماهير واكتساح الأستعمار والصهيونية والملك والأقطاع والرأسمالية وأقامة نظام أسلامي.

وجاء عبد الناصر. فهل تقدم بتلك الجماهير الواعدة الى الأمام أم جرها الى الخلف؟ هل كان على مستوى حركة الجماهير أم كان ضدها؟ سوف يظهر هذا من خلال تحليلنا لموقف عبد الناصر من كافة القضايا التي ناضلت من أجلها الجماهير.

موقف عبد الناصر من الصهيونية

أستلم عبد الناصر قيادة الجماهير في المنطقة وقد حددت تلك الجماهير رؤيتها في الصراع العربي الاسرائيلي بشكل واضح في الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية تحت ظل العقيدة الاسلامية – وأعتبار الصراع العربي الاسرائيلي حلقة من حلقات الصراع الطويل بين الأمة الأسلامية واعدائها. صراع حضاري يمتد في التاريخ والجغرافيا حتى خيبر وبني قينقاع. كانت الجماهير قد ثبت لها بشكل قاطع بعد تجربة قتال الاتجاه الاسلامي في فلسطين ١٩٤٨ أن ذلك الصراع لن يحسمه الا الأسلام. وأن العلمانية بكافة أتجاهاتها مفلسة. وأن كافة الحلول الوسطية والقرارات الدولية مجرد لعبة للإلهاء وتضييع الوقت.

فماذا كان موقف عب الناصر؟!

– في ٣ أغسطس ١٩٥٤ صرح الرئيس عبد الناصر بأن مصر تحتاج الى السلام وأقترح أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بدور الوسيط بين أسرائيل والدول العربية. وقال إن مصر تريد أن تنهي التوتر القائم مع اسرائيل شريطة أن يتم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

[ليلى القاضي – شئون فلسطينية – العدد ٢٢ حزيران يونيو ١٩٧٣ – تقرير حول مشاريع التسويات

السلمية للصراع العربي – الاسرائيلي].

في كتاب مايلز كوبلاند – دار الفكر بيروت ١٩٧٠.

يقول كوبلاند «أنه مع كيم روزفلت وروبرت أندرسون قد نشطوا بعد هذا التصريح لاجراء محادثات مع بن جوريون وعبد الناصر لتحقيق التسوية وأن روزفلت قد حصل على موافقة عبد الناصر على ترتيب لقاء سري في يخت خاص في البحر الأبيض».

وكتب مايلز كوبلاند في صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ ٢٤ يونيو حزيران ١٩٧١ يقول «في الفترة ١٩٥٣ – ١٩٥٤ تبادل الرئيس عبد الناصر عدد من الرسائل مع موسى شاريت رئيس الوزارة الأسرائيلية وأن إجتماعات سرية عقدت بين ممثلين عن مصر وأسرائيل في أحدى العواصم العربية».

وفي مذكرات بن جوريون التي نشرتها جريدة معاريف في ٢ . ٩ . ١٦ . ٢٣ من شهر تموز ١٩٧١ حديث عن الرسائل المتبادلة بين مصر وأسرائيل في عام ١٩٥٣.

حسنا ليكن مايلز كوبلا كاذباً وليكن بن جوريون كاذباً ولتكن ليلى القاضي كاذبة ولكن ما رأيك بمحمد حسنين هيكل.

يقول هيكل في كتابه «عبد الناصر والعالم» الصادر ١٩٧١ «إن الرئيس الأمريكي إيزنهاور أوفد سنة ١٩٥٥ روبرت أندرسون الى القاهرة حاملا معه رسالة تفيد في جملتها أن الولايات المتحدة ترغب في حل المشكلة الفلسطينية وإنهاء حالة الحرب بين مصر وأسرائيل.

وعقد اندرسون سلسلة من الأجتماعات مع الرئيس عبد الناصر في منزل بالزمالك حيث بسط عبد الناصر للمبعوث الأمريكي وجهة نظره في أن أساس أي حل يجب أن يكون مشروع التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧».

ويقول هيكل أيضاً في نفس المصدر «بذل أندرسون قصاري جهده ولكن كان في المقام الأول محكوماً بالفشل. لان الأسرائيليين لم يكونوا ينوون بالقطع الرجوع الى الحدود المقررة بموجب مشروع التقسيم»

هل يكذب هيكل على عبد الناصر أيضاً؟!

حسناً لتنظر ج. ع. م (الجمهورية العربية المتحدة) وزارة الأرشاد القومي – مجموعة خطب وبيانات وتصريحات عبد الناصر ١٩٦٦.

«في ٢٨ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٥ قال الرئيس عبد الناصر في تصريح نشرته الصحف المصرية وذلك تعليقاً على مشروع أيدن الذي أعلنه الأخير في خطاب سياسي في قاعة البلدية في لندن والذي يقترح فيه بحل وسط بين العرب المطالبين بحدود التقسيم في ١٩٤٧ وأسرائيل المطالبة بحدود الهدنة في ٤٩ قال عبد الناصر.

«إن عودة أيدن الى قرارات هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧ تشير الى أن حقوق الشعب الفلسطيني لم يتم التخلي عنها وأن الوقت قد حان لإحياء تلك القرارات التي أهملت لمدة ٨ سنوات».

[نشرت الصحف المصرية جميعاً (الأهرام – الأخبار – الجمهورية) هذا التصريح بتاريخ ٢٩ نوفمبر/تشرين ثان ١٩٥٥].

هل تكذب الصحف المصرية على عبد الناصر في عهده؟!

في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٥ قال الرئيس جمال عبد الناصر في تصريح لصحيفة نيوز كرونكل اللندية «أنه لأول مرة يحاول رئيس وزراء غربي مسئول أن يكون عادلا ويذكر قرارات الأمم المتحدة.

وأن السيد أيدن أتخذ مسلكا ايجابيا أزاء مشكلة أهملت أمداً طويلاً ويمكن أن تؤدي مقترحاته الى منع التوتر والتخفيف من حدته وأنني لا أقول أن كل عربي سيوافقني على هذا فهذه وجهة نظري الشخصية».

– صرح الرئيس عبد الناصر في مؤتمر باندونج «ان ما عرضته الامم المتحدة عام ١٩٤٨ يمكن أعتباره حلاً مرضياً».

[كتاب خريف الغضب – محمد حسنين هيكل – طبعة لندن – ١٩٨٣].

– في عام ١٩٦٧ وافق الرئيس عبد الناصر على قرار ٢٤٢ وينص القرار على مايلي:

١ – يؤكد القرار أن تحقيق مبادئ الأمم المتحدة يتطلب أقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط ويتطلب تطبيق كل من المبدأين التاليين:

أ – سحب القوات المسلحة الأسرائيلية من أراضٍ أحتلتها في النزاع الاخير.

[النص الفرنسي يقول من الأراضي»

ب – أنهاء جميع إدعاءات أو حالات الحرب وأحترام والأعتراف بسيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة وأستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد وأعمال القوة.

٢ – يؤكد القرار الحاجة الى:

أ – ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية لجميع دول المنطقة.

ب – تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

جـ – ضمان المناعة الأقليمية والأستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق أجراءات بينها أقامة مناطق مجردة من السلاح.

وفي تصريح رسمي مصري في ٢ أبريل ١٩٦٩ نشر بالصحف المصرية في اليوم التالي:

١ – لا تشترط مصر الأنسحاب المسبق أو الجلاء الكامل كخطوة أولى من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن.

٢ – أن مصر قدمت تنازلات هامة أعلنها وزير الخارجية في ١١ أبريل ١٩٦٨ تلخصت في:

أ – الموافقة على مرور السفن الأسرائيلية في قناة السويس.

ب – أقامة مناطق منزوعة السلاح على طرفي الحدود بين البلدين.

جـ – عدم وضع أي شروط مسبقة على عملية تنفيذ قرار مجلس الأمن.

وفي ١ مايو ١٩٧٠ من شبرا الخيمة وجه الرئيس عبد الناصر نداء الى الرئيس الأمريكي يدعوه الى العمل على تحقيق تسوية في الشرق الاوسط.

وردت الأدارة الامريكية على ذلك بمبادرة روجرز التي تنص على:

١ – وقف أطلاق النار لمدة محددة.

٢ – التوصل الى اتفاق سلام ينص على:

أ – أعتراف متبادل بين الأردن واسرائيل وبين ج. ع. م. وأسرائيل.

ب – أنسحاب اسرائيل من أراضٍ محتلة في ١٩٦٧ عملاً بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢

وأخيراً في ١١ أغسطس ١٩٧٠ في مقال هيكل الأسبوعي بعنوان قضايا أساسية للمناقشة – وضمن حوار عبد الناصر مع الوفد السوداني قال عبد الناصر:

«إن أمريكا وحدها هي التي تستطيع أن تضغط على اسرائيل في إتجاه الأنسحاب وتنفيذ قرار ٢٤٢».

هل تملك امريكا وحدها أوراق اللعب أو ٩٩٪ من الأوراق؟

والآن. ما هو تقييم عبد الناصر عبر مواقفه من القضية الفلسطينية الذي جاء الى السلطة من معطفها؟!

عبد الناصر والمقاومة الفلسطينية:

بدأت المقاومة الفلسطينية «خط الكفاح المسلح» عام ١٩٦٥ وكنتيجة طبيعية لأدراك الجماهير لافلاس الأنظمة العربية وعدم قدرتها على أن تعكس تطلعات الجماهير بالنسبة لقضيتها المركزية.

وكان من الطبيعي أن تكون تلك المقاومة نواة لتجمع الجماهير لتفجير الحرب الشعبية ضد أسرائيل في اتجاه أجتثاثها من جذورها.

ولقد وصلت المقاومة الى تلك المرحلة بالفعل في يوم ٢١ مارس ١٩٦٨ عقب صمودها البطولي الفذ في معركة الكرامة.

فماذا كان موقف عبد الناصر منها؟

في عدد أبريل ١٩٦٥ أجاب عبد الناصر في حديث لمجلة ريالتي الفرنسي عن سؤال متعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية.

«وعندما تستكمل المنظمة أستعدادها سوف تشرع في العمل من أجل تطبيق مقررات الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين».

[في أهرام الجمعة أغسطس – سبتمبر ١٩٦٨ (٦ مقالات)]

يقول هيكل أنه من الخطأ أعتبار المقاومة نواة لحرب تحرير شعبية وأن الأدعاء بأن تجربة فيتنام يمكن تكرارها. إدعاء ساذج لأن ظروف المنطقة والعالم مختلفة. وكذلك التضاريس.

«فطبيعة الأرض الفيتنامية تختلف عن أرض فلسطين».

وهكذا ألقى هيكل ظلالا من الشك حول المقاومة ودعاها الى أن تكون ورقة ضغط على أسرائيل لتحقيق التسوية.

موقف عبد الناصر من الأستعمار:

كانت الجماهير قد حددت موقفها من الأستعمار بأعتباره حلقة من حلقات الصراع التاريخي بين الأمة الأسلامية والحضارة الغربية الصليبية. وأن تصفية الأستعمار تعني تصفية كل تواجده العسكري والسياسي والأقتصادي والأجتماعي والثقافي. وأن صراعنا مع الأستعمار لا يتعلق فقط بشئ خارج ذواتنا فنحن كمجموعة بشرية موضوع للصراع ولسنا طرفاً فيه فقط ولابد أن تستند حركة المقاومة للأستعمار إلى تميز دقيق في الهوية والإنتماء ولا يتأتى هذا الا بإدراك أكيد لتاريخنا المتميز وتحمل الموروث الفكري والحضاري فينا.

وأن الاستعمار لكي يستعبدنا كان عليه أن يزرع ثقافته وأنماط فكره وحضارته فينا. وأن يغيب وعينا التاريخي. وأن الأستقلال والتحرر الوطني بمعزل عن الأسلام يبدو مستحيلاً لأنه في النهاية سيقع أسيراً لنموذج الحضارة الغربية. وهكذا فإن تجربة عبد الناصر في مقاومة الأستعمار وبما أنها لا تحمل تلك المضامين قد سقطت أمام أول هجمة أستعمارية وذلك يعود الى أن أسلوب الأستقلال الذي مارسه عبد الناصر قد أقيم على أساس صورة مقتبسة من نماذج مجتمعات الغرب سواء المجتمعات الرأسمالية أو الأشتراكية.

عبد الناصر قبل بالفعل مشروع الجلاء الذي كانت الجماهير قد أسقطته عام ١٩٥١ حينما أضطر الوفد الى الغاء المعاهدة تحت الضغط الجماهيري.

كما أن عبد الناصر قد ترك القوانين الأستعمارية كما هي وأنماط الثقافة وشكل البناء الأقتصادي للمجتمع المصري أقتبست من المجتمعات الغربية بجناحيها الرأسمالي والأشتراكي.

فهل تقدم عبد الناصر بالجماهير في مواجهة الاستعمار أم تخلف بها؟!.

عبد الناصر وشكل التنمية الأقتصادي:

كانت الجماهير قد حددت موقفها في بناء مجتمع أسلامي يحقق العدالة والحرية والحياة الكريمة لكل إنسان. وكانت تدرك أن التنمية ترتبط أساساً بقيم المجتمع وأن أي شكل من أشكال التنمية يغفل البعد الحضاري والقيمي للأمة لابد أن يفشل. وأن التنمية الحقيقية لابد أن تكون مستقلة عن الغرب الأستعماري بشقية الرأسمالي والأشتراكي إن التنمية الأقتصادية هي أساسا تنمية قيمية وأنسانية في المقام الأول وتعتمد على موارد الأمة الذاتية أصلا وتلبي حاجاتها الواقعية. ولكن عبد الناصر لم يدرك ذلك كله. وقام ببناء نمط أقتصادي مرتبط بالجناح الأشتراكي للأستعمار وبعض دول الكتلة الغربية كما أن عبد الناصر لم يجعل الجماهير حارساً على التنمية. بل قام بسحق الأنسان الحارس الأساسي للبناء فما أسرع ماتهاوت مؤسساته الأقتصادية.

لقد جعل عبد الناصر من الجماهير مجرد متفرج أو مجرد ترس في عملية التنمية.

ولكن السؤال الآن الى أي القوى الأجتماعية أنحاز عبد الناصر؟

وفي الحقيقة أن الاجابة على ذلك السؤال هامة

جدا. بل وتحدد طبيعة نظام عبد الناصر تحديداً جيداً.

لقد أعتمد عبد الناصر في بناء مؤسساته الأقتصادية على مجموعة من المغتربين من الطبقة المتوسطة. كما أعتمد على عناصر كثيرة من الأسر الأقطاعية التي كانت تشكل جزءاً من نظام ما قبل ١٩٥٢. وسوف نضرب عددا من الأمثلة:

– أسرة أباظة مثلا تمتلك ١٦ الف فدان في محافظة الشرقية ولقد امتلكتها عن طريق خيانة جدها الاكبر لأحمد عرابي في قتاله مع الأنجليز ومارست تلك الأسرة طوال حياتها أبشع وسائل الظلم ضد الفلاحين من قتل الى هتك أعراض الى سخره الخ..

وقام عبد الناصر في بداية حكمه بزيارة عميد تلك الأسرة وهو أحمد أباظة في قرية «الربعاية» بالشرقية بل وتناول معه طعام الغداء. ومن الطبيعي بعدها أن يكون أحد أبناء تلك الأسرة هو أمين الأتحاد الأشتراكي بمحافظة الشرقية «وجيه أباظة» ثم محافظاً فيما بعد للقاهرة في الستينات ويمكن قياس ذلك على معظم المحافظات. كأسرة عامر في المنيا مثلا.

لقد قام عبد الناصر بالأعتماد على الأسر الأقطاعية لتدعيم حكمه وكان سلوكه تجاه تلك الاسر أن يقوم بتصفية الأسر الأقطاعية التي تصارعه ويدعم الأسر التي كانت على أستعداد أن تؤيده بصرف النظر عن بشاعتها وظلمها وتاريخها الأسود ضد الجماهير. وهكذا فإن قانون الأصلاح الزراعي مثلاً قد تم تطبيقه على بعض الأسر ولم يتم تطبيقه على أسر أخرى مثل أسرة أباظة بالشرقية وعامر بالمنيا.

وفي أعقاب حركة ١٩٥٢. وأستجابة لها – قام عمال أحد المصانع الخاصة والمملوكة لأحد الرأسماليين (مصنع نسيج في كفر الدوار) بالأعتصام داخلها هاتفين بحياة عبد الناصر ومطالبين بمطالب عمالية مشروعة من تحسين ظروف العمل – الى رفع الأجور وغيرها. وللعجب يقوم النظام الناصري بأرسال أحدى الكتائب المسلحة لفض حركة الأعتصام وأعتقال العمال وتقديمهم للمحاكمة. والأعجب أن تصدر أحكام الأعدام على كل من العاملين (خميس – وبقري) وأن يتم تنفيذ الحكم سريعاً وتلاوة الحكم في جمع من العمال في المصنع ذاته.

[انظر كتاب الخديعة الناصرية. صافيناز كاظم – دار الأعتصام].

عبد الناصر والقيم الاجتماعية للأمة

سنكرر المقولة التقليدية من أن الأستعمار وكمحاولة لربطنا به قد زرع مؤسسات علمانية وتبشيرية تنخر في قيم الأمة وتراثها. وتقوم ببث قيم الحضارة الغربية الصليبية. فماذا كان موقف عبد الناصر من ذلك.

لنأخذ قضية تحرير المرأة كمثال. وحيث أن الأسلام قد أعطى المرأة كل حقوقها. وأن حركة تحرير المرأة ما هي الا حركة أستعمارية مشبوهة تهدف الى تفسيخ المجتمع تمهيداً لربطه نهائياً بالأستعمار.. وحيث أن الزي الأسلامي أرتبط دائماً كشكل من أشكال الرفض والنضال ضد الأستعمار (تجربة ثورة الجزائر – تجربة الثورة الاسلامية في إيران).

ومن العجب أن يقف عبد الناصر بشكل بشع ومباشر ضد زي المرأة المسلمة ويقوم بمنع المحجبات من دخول الجامعة أو العمل في المصالح الحكومية. كما شنت وسائل أعلامه حرباً شرسه ضد ذلك الزي.

ونأخذ مثلاً آخر هو موقف عبد الناصر من المدارس الأجنبية وبعثات التبشير التي تتقنع تحت ستار العمل الطبي. فلقد سمح لها عبد الناصر بالعمل داخل المجتمع المصري برغم ارتباطها بالأستعمار. وعلى الجانب الآخر قام بأغلاق «الكتاتيب» مدارس تحفيظ القرآن والتي كانت منتشره في كل قرى ومدن مصر.

كما أن وسائل الأعلام الناصرية قد قامت من جانبها بالهجوم المستمر على الأخلاق الأسلامية ودعت الى التحلل بدعوى مجاراة العصر بل انها حاولت طوال الستينات أستئصال أي شكل من أشكال الأرتباط بالأسلام. ومارست هجوماً مستمراً على الشريعة الأسلامية الغراء. وقانون الأحوال الشخصية الأسلامي (الطلاق – تعدد الزوجات) نذكر في هذا الصدد فيلم مصري مشهور ظهر في الستينات تحت

اسم «الشيخ متلوف» وهو فيلم يسخر من علماء الدين الأسلامي.

وهكذا فإن عبد الناصر بدلاً من أن يتبنى قيم الاسلام. عقيدة الأمة. كحق راسخ ضد الأستعمار فانه قد تبنى الخط العلماني المعادي لقيم الأمة.

موقف عبد الناصر من الوحدة العربية

لعل البعض يعتبر أن أهم خصائص الناصرية هو الدعوة الى الوحدة العربية والقومية العربية. وفي الحقيقة فإن النظرة الدقيقة الى هذا الأمر تستوجب كثيراً من الحوار.

إن الأمة العربية من المحيط الأطلسي الى الخليج العربي قد أصبحت عربية فقط بعد الأسلام وبسبب الأسلام. وبأستثناء الجزيرة العربية فإن كل الدول العربية تقريباً. بما فيها مصر لم تصبح عربية الا بالأسلام. وهكذا فإن أي محاولة لتحقيق الوحدة العربية خارج أطار الأسلام هي محاولة مشبوهة ومحكوم عليها بالفشل وتفتقد شرط نجاحها الرئيسي.

إن تغييب البعد الأسلامي للوحدة عن عمد يعد عملاً ضد الوحدة. بل إن الشكل الذي طرحه عبد الناصر للوحدة يعد التفافا حول مفهوم الوحدة وضرباً لها في الصميم وأجهاضاً لتوجهات الجماهير الحقيقية نحو الوحدة في أطار الأسلام.

إن تلك المنطقة كانت متحدة دائماً حين كانت تحكم بالأسلام وكانت متفرقة دوماً في غياب الأسلام.

ومن الطبيعي أن نذكر في هذا الصدد أن القومية العربية قد نشأت في أكناف المد الأستعماري الغربي وقد قام بالتنظير لها المتغربون وخصوصاً من الموارنة ذوي التوجهات المعروفة.

وقد كانت التجربة الناصرية للوحدة خارج اطار الإسلام بل وفي أحيان كثيرة موجهة ضد الإسلام وكان بديهياً بالتالي ألا تحقق أي نجاح حقيقي.

موقف عبد الناصر من العالم الأسلامي:

منذ اللحظة الأولى حاول عبد الناصر جهده قطع صلات مصر التاريخية والجغرافية بالعالم الأسلامي وراح يعمل في دوائر القومية المصرية — أو القومية العربية — عدم الأنحياز الخ.. ولك أن تدرك مدى الخسارة والفداحة التي لحقت بمصر والعالم الأسلامي من جراء ذلك. فكيف يعمل القلب خارج الجسم وكيف يعمل الجسم بل قلب.

وسوف نضرب مثلاً واحداً وواضحاً على موقف عبد الناصر من قضايا العالم الأسلامي.

في المسألة القبرصية. نجد أن عبد الناصر أقام علاقات وثيقة مع الأسقف مكاريوس. بل إن الصحف المصرية راحت تشيد بمنظمة أيوكا ونضالها الفذ!! مع العلم أن النشيد الذي يردده رجال تلك المنظمة يقول بالحرف الواحد «تعالوا لنقتل المسلمين الأتراك» ومن الغريب أن تكون تلك العلاقة بين نظام عبد الناصر العلماني ونظام مكاريوس «رجل الدين المسيحي» مما يجعلنا لا نجد مبرراً واحداً لتلك العلاقة الا العداء للأسلام وللمسلمين.

موقف عبد الناصر من الحريات. ومن شكل النظام السياسي

كان من الطبيعي والحالة هذه أن يكون نظام عبد الناصر أستبدادياً وبشعاً. بل أن يسلط عبد الناصر رجال مخابراته وأجهزة قمعه لسحق كرامة الأنسان في مصر. ولقد شهدت فترة حكم عبد الناصر أبشع أنواع القتل والتعذيب والتشريد وهتك الأعراض وقطع الأرزاق وحل المنظمات والنقابات.

لقد كانت الجماهير تحلم بأقامة نظام سياسي يعتمد على الشورى ويحقق الحرية الكاملة للجماهير على أساس أن الحرية هي الأساس الصلب الذي من خلاله تستطيع الجماهير أن تمارس نضالها ضد الأستعمار وضد الصهيونية وتمارس حقها في بناء مجتمع غير مرتبط بالأستعمار يحقق العدل والكفاية والحرية.

ولكن عبد الناصر بما أنه خان الجماهير في كل

قضاياها فلقد خانها في قضية الحرية وقام بالغاء كل الأحزاب وسجن كل السياسيين من أخوان مسلمين ٥٤. ٥٧. ٦٥ ومن شيوعيين ٥٨. ٦١ وكذلك أعضاء حزب الوفد. وما خلت معتقلات عبد الناصر يوما من السياسيين.

لقد طرح عبد الناصر نظام حزب الواحد «هيئة التحرير ثم الأتحاد القومي وأخيراً الأتحاد الاشتراكي» وهي في النهاية تعني الوصاية على الجماهير وأن يصبح الزعيم الوحيد والسياسي الوحيد والأقتصادي الوحيد والملهم دائماً!! وليس على الجماهير الا أن تصطف خلفه في صفوف طويلة وتتبعه حيثما سار.

وهكذا فإن عبد الناصر الذي تولى السلطة عام ١٩٥٢ والجماهير في ذروة حيويتها وهديرها. تركها ١٩٧٠ وهي غائبة عن قضاياها ملتزمة بيوتها أو تقبع في السجون إذا ما تجرأت وعارضت.

وفي الحقيقة فإن الجماهير لم تستسلم تماماً لعبد الناصر وحدثت محاولات مستمرة للنضال ضده منذ ١٩٥٤ حتى ١٩٧٠ ابتداءاً من محاولات الأتجاه الأسلامي المستمرة إلى مظاهرات الطلبة والعمال سنة ١٩٦٨.

محمد م. — القاهرة

الاخوة قراء الطليعة الاسلامية

نحيط الاخوة الذين يرغبون بمراسلة الطليعة الاسلامية إن عنوان المجلة في الولايات المتحدة، قد تغير وإن العنوان الجديد هو:

P. O. BOX 33807
Raleigh, N C 27606
U . S . A.

علماً باننا سنستمر في استلام الرسائل على العنوان القديم ولمدة شهرين من الآن حتى نضمن وصول رسائل الأخوة اللذين ارسلوا رسائلهم على العنوان القديم.

«الطليعة الاسلامية»

أخلاقيات العمل السياسي

لما كان الهدف الرئيسي من العمل الاسلامي هو مرضاة الله وتعبيد الناس له وتحكيم شرعه على أرض الواقع عبر صياغة سليمة للانسان واعادة لبناء الهيكل الاجتماعي للامة وفق رؤية عقيدية ومنهج رباني وعلى هدي فلسفة تشريعية قادرة على بناء الحضارة والحياة الانسانية. فان أولويات الاهتمام تنصب على ضرورة توافر حالة من الانسجام والتناغم بين قيم التشريع الاسلامي والمحتوى الداخلي للانسان وما يفرزه ذلك الانسجام وهذا التناغم من ايقاعات متزنة في السلوك والممارسات والمواقف تشكل بمحصلتها النهائية مائزاً للشخصية العاملة في رحاب الله تعالى وفي سبيله سيما ونحن نخوض ملحمة الصراع الدامي مع أعداء الله سبحانه. وحيث أن فلسفة الرسالات وغاية التشريع قد أجملها رسولنا العظيم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) بعبارته الجامعة المانعة التي يقول فيها (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) لذلك كان لا بد لنا من استحضار القيم الاخلاقية واستيعابها الى الحد الذي تنبض معه بالمصاديق والممارسات الحية في تصرفات المتصدين للعمل في هذا المضمار الحيوي وبشكل يمنحهم الضمانات الكافية للحيلولة دون الانحراف والزيغ وتحكيم الهوى الذي سرعان ما يتردى في وهدته الكثيرون من حملة الشعارات البراقة في الحركات العلمانية والتي تتلفع بأثواب الدفاع عن المحرومين والانتصار لقضاياهم. حيث ما أسرع ما تنخلع تلك الاثواب والبراقع لتخرج عارية عن كل قيمة أخلاقية تحول بينها وبين الظلم والاضطهاد فتتحول بذلك الى كابوس رعب رهيب لا يقل خطورة عن ذلك الذي دعت الى اسقاطه قبل وصولها لمرحلة الحسم والانتصار. من هنا كان لا بد لنا جميعاً من استيعاب كامل لكل المفردات الاخلاقية التي دعت اليها الرسالات والتي بذل من أجلها أنبياء الله ورسله الدماء والدموع والعرق.

وسأحاول في هذا البحث المقتضب لأن أتطرق للمرتكزات الاخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها الساسة الاسلاميون معرضاً عن ذكر بعض المفردات الاخلاقية ـ لا رغبة عنها ـ وانما لكونها أولويات يفترض وجودها لدى عامة المسلمين فضلا عن طليعتهم الواعية العاملة. ولعل أهم المرتكزات الاخلاقية في العمل السياسي الاسلامي ما يلي:

١ ـ الاحساس العميق للانتماء للحركة الاسلامية العالمية التي تواجه اليوم تحديات الكفر العالمي وامكاناته المادية المجندة أساساً لاستئصال جذور الصحوة الاسلامية المتنامية

والتي لو قدر لها أن تنطلق لانبعثت عملاقاً مارداً يكتسح كل مخلفات عصر التخلف وظلمات السنين العجاف ولحفرت أخاديد عميقة في مسار التغيير وحركة التاريخ التي توجهها الارادة البشرية ضمن قدر الهي ومشيئة ربانية ولترسم في نهاية المطاف خارطة جديدة للعالم تخلو من كل أشكال البؤس وألوان الحرمان والقهر والاضطهاد ولتنهي مسلسل عذابات الانسان وألامه وأهاته.

ان احساساً بالانتماء للحركة الاسلامية العالمية من شأنه أن يدفع العمل والعاملين الى الامام وبزخم ثوري متدفق تتواصل دفعاته من خلال التلاحم المصيري والترابط العضوي الذي يشد فصائل الحركة الاسلامية كلها (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) وذلك انطلاقاً من وعي كامل للمسؤولية التضامنية التي يتحمل تبعاتها الاسلاميون جميعاً بحيث قد يتسبب انفلات البعض من رباطها اضراراً مباشرة لا يسلم من تأثيراتها السلبية أحد. خاصة وأن قوى الكفر العالمي لا تميز بين تلك العينة الاسلامية أو تلك، اذ المطلوب هو الرأس الاسلامي أينما وجد، وأن تحدياً بهذا الشكل والى حد الاستئصال لكل ما هو اسلامي وعظيم ومقدس جدير بأن يثير فينا احساساً مشتركاً بضرورة الانتماء لمعسكر الهدى والدفاع عن كل المواقع المتقدمة فيه تجسيداً لقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقوله سبحانه (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وكذلك دفاعاً عن الذات الاسلامية من خلال المساهمة في الدفاع عن الكل المستهدف والذي نحن جزء لا يتجزأ من كيانه، حيث لا عاصم لبعضنا اذا ما هلك البعض الأخر.

وعلى هذا فان محاولات الالغاء والتحجيم والتضعيف لأي من الوجودات الاسلامية وبأيدي الاسلاميين أنفسهم سوف يصب بالتالي في بحر المصالح الاستكبارية وبما يخدم أعداء الله الذين يتربصون بنا الدوائر فتقر عيونهم لحالة التأكل التي تجتاح الحركة الاسلامية وتنهش لحمها وتضعف قواها. ان الاحساس الحقيقي بالانتماء لساحة الاسلاميين يولد بالضرورة حالة من الانضباط العالي والاتزان الحكيم وينمي الشعور بالمسؤولية الشرعية والتاريخية الذي يتطلب قدراً كافياً من الشجاعة والاستعداد الذاتي للتربية والترويض لصد رياح الهوى وايحاءات الذات وأمراض الأنا عبر الايمان بضرورة المحافظة على المصلحة الاسلامية العليا والمتمثلة أساساً بحفظ الكيانات الاسلامية الاصيلة ودعمها واسنادها ليتسنى لها ممارسة دورها كاملا في عملية الصراع وميادين المواجهة. الامر الذي يدعونا جميعاً للمزيد من ضبط النفس والتعقل والالتزام الواعي بعيداً عن تأثيرات المزاج وضغط العواطف الجامحة وردود الفعل المتسمة بالتشنج والمفتقرة لأ بسط مبادىء الحكمة والنضوج السياسي سيما ونحن نعيش مثل هذه الفترة الحرجة والحاسمة من تاريخ أمتنا والتي أعمل الطغاة فيها سيف البغي لذبح أهلنا وأبناء شعبنا الصابر المحتسب.

٢ ـ المبدأية في التعامل مع الواقع والاحداث

والمسؤوليات من خلال استشعار مخافة الله تعالى واستحضار القيم الشرعية المانعة من التعسف والجور والظلم وفي ذلك قرآن يصدع، (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) اذ المبدأية في التعامل تولد احساساً لدى العاملين جميعاً بأن أجنحة قانون العدالة والمحبة تظللهم جميعاً من خلال اعطاء كل ذي حق حقه. (وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين). وفيما عدا ذلك فان خللا استراتيجياً رهيباً سوف يحصل في المعسكر الاسلامي من خلال منح المسؤوليات لمن لم يكن أهلا لها فنكون قد حرمنا الامه والحركة الاسلامية من عناصر رفد كفوءة نحيت عن مواقعها المناسبة دون أي اعتبار منطقي أو موقف مبدئي مشروع وبهذا نكون قد عطلنا طاقة متفجرة نحن أحوج ما نكون اليها كما وعرضنا البديل غير المؤهل الى تجربة فاشلة قد زج التصدي لها، زجاً غير مسؤول مما يفقده احترام الامه بل وحتى ثقته بنفسه، مثله في ذلك مثل الثمرة التي لم تنضج بعد فتقطفها متعجلا، بينما لو تركت مكانها تنمو لأتت بالفائدة المرجوة في حينها المناسب وفي هذا الصدد يقول رسول الرحمة عليه الصلاة والسلام (من تقدم على المسلمين وهو يرى أن فيهم من هو أفضل منه فقد خان الله ورسوله والمسلمين).

اذن فلتكن المبادىء الاسلامية العظيمة رائدنا عند كل موقف وفي كل قرار وعند كل رأي أو حادث أو حديث. وبهذا نحفظ للجماعة الاسلامية وحدتها ونصون للمسيرة تماسكها وقوتها وسلامتها من الانحراف أو التلكؤ. ومن أراد للمبادىء أن تكون لها أرضاً تحكم عليها أو تسود فيها فليجعل من نفسه وروحه وقلبه ووجدانه حقلا تجريبياً وميداناً واقعياً للتجسيد والتطبيق لأن ميدانكم الاول أنفسكم.

٣ ــ الايمان بضرورة العمل الجماعي الوحدوي: خاصة ونحن نواجه تحدياً رهيباً يتخندق في معسكره كل طغاة الارض وأشرارها و يتحالف فيه لسحقنا حتى الاضداد المتصارعة فيجتمع لحربنا أقصى اليمين مع أقصى اليسار مما يطرح علينا جميعاً سؤال يبحث عن جواب عملي:

هل وجد الشرق الملحد والغرب الكافر نقاطاً مشتركة للالتقاء ضدنا بينما لا نملك مثلها لنتوحد ونحن أبناء مدرسة الاسلام الواحد وضحايا المحنة الكبرى وحملة نفس الهموم والامال والالام والطموحات. ان الذين يعتقدون بأنهم قادرون لوحدهم على خوض المعركة ضد الطاغوت والانتصار فيها عليه مستغنين عن اخوانهم مستهينين بقدرات غيرهم من الاسلاميين لا بد وأنهم مفرطون في التفائل ومبالغون في الاعتداد بالذات والاعتماد عليها. ووفق هذا التصور الذي لا أحسبه منطقياً ولا بد من قراءة واعية للذات من قبلنا جميعاً لنعرف أين وكيف ومتى نضع أقدامنا وعلى أي أرض، ولا بد لنا من أن نزن شجاعتنا وقدراتنا قبل أن تزنها معركو فاصلة وغير متكافئة مع عدو يملك من الوسائل المادية

والاسلحة المتطورة والمتعددة اضعاف ما تملكه الحركة الاسلامية مجتمعة.

مما يستلزم تعميقاً للشعور بضرورة المشاركة في عمل جماعي هادف و بناء وفق معايير سليمة ودقيقة لنشكل بمجموعنا بحراً من الطاقات المتسابقة نحو الخير وتحقيق الهدف وبلحاظ الاستعدادات والامكانيات الذاتية المتوفرة والمؤهلة لاختزال الزمن في حسابات النمو والتطوير. أما أولئك الذين يتصورون بأن الاعمال لا تنجح بدونهم فهم الحماة والرماة والمبدعون والمنتجون فلا شك وأنهم مصابون بالنرجسية القاتلة وقصر النظر الذي لا يتعدى أرنبة الانف، مما يكرس لديهم أمراض الذات التي تفرز لهم تصوراً خاطئاً يعتقدون من خلاله بأن أية مشاركة لهم في العمل مؤامرة كبرى تستهدف كيانهم ووجودهم مما يدعوهم لتأطيرها باطار ايدلوجي ليقولوا بعدها أن هذه مؤامرة ضد الاسلام والمسلمين وكأنهم وحدهم هم الاسلام خالصاً ولا شيء سواهم. من هنا فان من يسعى لتوحيد الصف وللعمل المشترك لا بد له من الانفتاح على ما حوله ليقرأ الواقع بما هو واقع لا بما توجيه اليه تصوراته ورؤاه وهواه. وعندها سوف نساهم جميعاً في خلق أمة من العاملين المدركين للواقع وللذات والمسؤوليات التي تحول التجمع الاسلامي الطليعي الى خلايا مهمات متخصصة ومضمونة النتائج عبر تنافس شريف ومشروع ومبارك.

٤ ــ النقاء، وهو السمة الملازمة للعاملين الذين يتسامون عن الصغائر التي تعج بها ساحة العمل عادة و يترفعون عن تتبع الهنات بغية توفير الاجواء والمناخات المناسبة لسيادة علاقات ايمانية صادقة وأخوية بين العاملين في سبيل الله، فتتمازج الارواح و يتصلب عود الجماعة، و ينسمون على جراحاتهم عبر حمل الهم وأعباء المسؤولية، ومن خلال النظر الجاد في نافذة الرؤى الموحدة والمؤمنة بوحدة الطريق والمصير والهدف مما يخلق تجانساً في الفهم الموحي بترك المراء، والداعي لتهذيب الارواح وتنقية الاجواء من كل ما من شأنه تعكير صفوها. يتزامن ذلك مع سعي حثيث لتصعيد الجوانب الروحية باتجاه سليم قادر على أن يشكل قانوناً سلوكياً تضيف فيه المفردات والممارسات اليومية بالصدق والصفاء والمحبة والا تزان والايثار والاريحية مع استعداد كامل لابداء الرأي الصائب والذي يسهم في دفع العمل وتسديده. اذ لاضريبة على الرأي الحر الهادف البناء ولا تلويحاً أو تلميحاً بالتهديد الخانق للكلمة والطرح السليم، وحيثما توفرت الاجواء النقية هذه نكون قد أوجدنا التربة الصالحة لانبات كل ما هو صالح وخير ومفيد. وبعكسها فلا بديل غير التناشز وحالات التشرذم وتلبد ساحة العمل بكل سحب الشك واساءة الظن والحساسيات الممقوتة والمعطلة.

٥ ــ الجدية في العمل والاستعداد الحقيقي للتضحية وأداء المهمات لأن التصدي للعمل الطليعي لا يعني بحال من الاحوال تصدر الواقع ولا هو اشباع لرغبة أو استئثار بالعناوين وانما هو أمانة وتكليف ومسؤولية يتطلب مضاعفة الجهد وبذل الطاقة واستفراغ الوسع ليكون المتصدي قدوة وأسوة ومثالا

يحتذى اذ القائد هو أول من يستيقظ وأخر من ينام والا رفضته القاعدة وسبقته الجماهير وتنكرت له الامة الباحثة عمن يتحمل المسؤولية بجدارة وحماس مثير للاعجاب وباندفاع ثوري مقترن بالرغبة الجامحة لنيل مرضاة الله وتسديده (ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

أجل ان التصدي للعمل السياسي الاسلامي تكليف ومسؤولية وليس تشريفاً أو امتيازات أو مواقع أو غنائم يقتسم فيئها الاقربون ومن يدور في فلكهم و يغض الطرف عن كل كفاءة أو تأهيل. ومنهجية خاطئة كهذه التي لا يتعامل أصحابها إلا بوحي من عين الرضا لهي أبعد ما تكون عن أخلاقية العمل السياسي السليم ومبدئيته وهي بالتالي مثار سخط ومعلم ضحالة ودليل خواء أكثر مما هي تلذذ بالامتيازات واستمتاع بالمزايا والامكانات وقد لا يحصد من يتبناها غير العزلة والتشرنق والمقاطعة الجماهيرية، ومن يفقد جمهوره كالساعي الى الهيجا بغير سلاح. وقد يخسر حتى تلك المواقع التي أبعدته عن جمهوره فيما بعد.

ومثل هذه الظاهرة المرضية مردها ضيق الصدر وجفاف الروح أو سوء التقدير المتأتي من عدم الوضوح بالرؤية والجهل المطبق بالواقع والممكنات المتحركة فيه، وقبل هذا وذاك اعراض عن ذكر الله (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً). ومن هنا كان لا بد للاسلاميين والعاملين في الحقل السياسي من التجرد والايثار والانصاف والاريحية وكل ما من شأنه أن يجمع القلوب ويمسح على المشاعر و يطيب النفوس لان سر النجاح يكمن في قوة المحصلة الكلية لحركة الثورة لا في قوة الموقف الشخصي.

٦ ــ المرونة والواقعية: اذا كانت السياسة كما يصطلح عليها البعض بأنها (فن الممكنات) فهذا يعني بأنها ليست مقولات منطقية منسقة ولا حسابات رياضية فوق النقاش، وانما هي ادارة التناقضات المتعارضة والعمل على تذويب حالات التعارض ما أمكن، ومثل هذه المهمة تحتاج الى قلب كبير وروح متفائلة وصدر واسع لا يضيق ذرعاً بالاختلافات الجزئية التي تفرزها العملية الثورية في مساحات الصراع المشتركة ضد قوى الكفر والاستكبار، كما وتستلزم أيضاً تقديراً موضوعياً للواقع واحداثياته ليتسنى للعاملين رسم الخطط الحكيمة والقادرة على أن تنتزع النصر بانفراج المستقبل من بين ظلمات الحاضر ومعاناته، أما من يعتقد بأنه قادر على أن يجر الواقع الى قناعاته فهو ولا ريب مجانب للحقيقة الموضوعية ومقحم لنفسه في مسار معاكس لحركة التاريخ وقوانينها ولمنطق الكون وسنن الله المودعة فيه.

ان نظرة واعية للواقع وتفهم كامل لاحداثه سوف يجنب العاملين كثيراً من مطبات الزلل ومنعطفات الطريق وظلمات الغبش، وكل ذلك يتم في ساحة تتطلب المرونة مع من يخطىء (كل ابن أدم خطاء وخير الخطائين التوابون).

والحمد لله رب العالمين.

ج.أ. ياسر

حديث هادىء الى العاملين في الدعوة الاسلامية

الاستاذ عصام العطار

● **سبيل الدعوة الاصيلة:**

نعم لقد مررنا بظروف صعبة وتعرضنا أفراداً وجماعات لصنوف من الشدائد والمحن. واجتمع علينا الشر في كل مكان من كل مكان.. ولكن لم يكن ذلك مفاجئاً للمؤمنين الواعين ولا مستغرباً منهم فهذا هو سبيل كل دعوة أصيلة.. دعوتنا على الخصوص.

لقد سار رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق هذه الدعوة وهو يتوقع من الخطوة الاولى ما سيلقاه من التكذيب والاذى والاخراج والقتال، لقيه ورقة بن نوفل «أول نزول الوحي» وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة: «والذي نفسي بيده أنك لنبي هذه الامة وقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى من قبل، ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن

ان هذا الطريق هو سبيلنا الى مرضاة ربنا وسبيل امتنا وبلادنا الى التحرر والعدالة والكرامة والتقدم.. وكل ما سواه في اعتقادنا ضلال. انه طريق صعب طويل هذا حق لا مرية فيه.. ولكن الغايات الجليلة البعيدة لا يوصل اليها طريق سهل قصير.. وغايتنا بعيدة ومطلبنا جليل.. ولن نتحول أبداً الى سياسيين سطحيين وانتهازيين مستعجلين، يشترون الدنيا بالدين، و يلصقون شعارات الاسلام على واقع اليسار أو اليمين والاسلام من هذا الواقع بريء، و يرون مكانهم في ذيل هذه القافلة أو تلك.. طلباً لسلامة وأملا في مغنم أو انحرافاً مع تيار.. وقد أراد الله لحملة رسالته أن يكونوا رادة (قادة) شهداء على الناس وأن تهتدي بهم الدنيا الى الصراط المستقيم وأن تتحول بهم عن الباطل الى الحق وعن الشر الى الخير وعن الفساد الى الاصلاح.

ولتقاتلن».

• **معالم الطريق**

ولقد كان كل ما توقع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسم لنا وبكل جيل معالم الطريق دما وألماً وصبراً وجهاداً متواصلا، ويقيناً راسخاً وثقة لا حد لها بالله عز وجل وبنصره المؤكد ولقد كان المسلمون الاولون ـ أفراداً في العهد المكي وجماعة على أبواب العهد المدني ـ على بينة من هذه الحقيقة أيضاً. سلكوا الطريق ـ وهم يرون كل أهوال الطريق ـ الى الغاية التي يرخص في سبيلها كل بذل.. ووطنوا النفس على مجابهة كل الدنيا والتضحية بكل ما في الدنيا واحتمال أقصى ما يتصور في هذه الدنيا.. لا يستعجلون النتائج ولا يطلبون الا الجنة ومرضاة الله عز وجل.

• **مثل بليغ**

قال خباب بن الارت رضي الله عنه: «شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسل بردة له في ظل الكعبة ـ وفي رواية ولقد لقينا من المشركين شدة ـ فقلنا الا تستنصر لنا فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

ولما اجتمع الانصار لبيعه الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية قال العباس بن عبادة بن فضلة الانصاري «يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون الرجل؟ قالوا: نعم، قال: انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون أنكم اذا انهكت أحوالكم مصيبة، واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والاخرة وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاحوال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة. قالوا: فانا نأخذه على مصيبة الاحوال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله أن نحن وفينا بذلك؟ قال: الجنة قالوا: أبسط يدك، فبسط يده فبايعوه» وكان لهم بعد ذلك النصر وتغير بهم تاريخ الدنيا.

• **بيعة جديدة**

ونحن الان بحاجة الى مثل هذه البيعة، والى أمثال هؤلاء الرجال وسيكون لنا بعد ذلك النصر الذي كان، مهما طال الزمن وتوالت المحن.

ان الشدائد أيها الاخوة، وان التحديات الكبيرة أما ان تهزم الانسان وتسحقه وأما أن تستخرج أقصى طاقاته، وتجعله بطلا يرتفع على الشدائد و ينتصر على التحديات.. ونحن الان بحاجة الى ابطال تثبت لهم الدعوة وتأخذ طريقها الى النصر.

أما أولئك الذين انهزموا أمام الشدائد وضعفوا أمام التحديات فنناشدهم ألا يولدوا

من هزيمتهم وضعفهم فلسفة تلغي دور الاسلام المتميز العظيم وتواري معالمه عن العيون وتشده يميناً وشمالا ليرضي عنه هذا أو ذاك من الناس ولتبرز وجوده بموافقة واقع أو رأي.. وهو دين الله الذي يهيمن ولا يهيمن عليه، والذي يجب أن يغير كل واقع أو رأي يناقضه أو ينافيه.

• **المتاجرون بالاسلام**

وأما الانتهازيون الذين يتاجرون بالاسلام و يبيعونه بالمزاد هنا وهناك و يستغلونه لخدمة سواه و يستخدمونه و يضحون به لاحقر المنافع.. فنحن نحذر منهم أشد تحذير.. ان الاسلام في مثل ظروفنا الحاضرة يسهل استغلاله وتصعب خدمته.. ونحن بحاجة الى من يخدمون الاسلام وعلى خطر ممن يستغلونه و يستخدمونه ولا يميز بين هؤلاء وهؤلاء الا بالاخلاص والادراك والمعرفة بالاسلام وبواقع المسلمين والعالم الذي نعيش فيه فأين من يتجردون لهذا الامر ولخدمة الاسلام على مستوى العصر وحاجات العصر.

• **المتشككون في الصف وخارجه**

وأما المتشككون من داخل الصف وخارجه الذين يلقون في روع الشباب العاملين أن الاسلام لم يعد في امكانه أن ينتصر وأن يحكم في هذا العصر وأن عليهم أن يتخلوا عن هذا المطلب الكبير و يقنعوا ببعض الجزئيات والفروع والرموز التي أبعادها لم تكن قط ولا يمكن أن تكون معركة فترة زمنية محدودة يعيش العاملون للاسلام من بعدها على ذكرياتها، منتشين فخورين بالقليل القليل الذي ربحوه للاسلام أو ربحهم غيرهم فيها وهم يخسرون في كل يوم معركة.. بل وهم معزولون عن الميدان أن يعيشوا على هامش الاحداث والتطورات دون تأثير مذكور..

ان معركة الاسلام مستمرة في مختلف المجالات والجبهات وأن على المسلمين العاملين أن يخوضوا هذه المعركة باستمرار وبكل ما يملكون من امكانات.. يجب أن يحاولوا جهدهم أن يربحوا معركة الاسلام في كل يوم وأن ينظروا الى الحاضر والمستقبل وواجبهم فيها على الدوام وأن يكون «الماضي» لهم حافزاً لا قيداً ومنبهاً لا مخدراً ومبصراً لا شاملا.. فجهاد الامس لايغني عن جهاد اليوم والغد وأهدافها الغالية ما زالت كلها أمامنا.. ما حققناه ولا وفرنا لتحقيقه الاسباب..

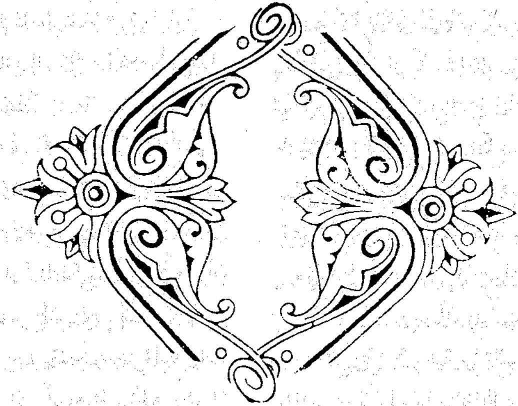
• **الانزلاق الى التبرير**

أما الانزلاق الى التبرير المستمر فقد أوشك أن يكون هو الاصل في العمل الاسلامي على مستوى الحركات والمؤسسات والافراد.. تبرير للنواقص.. وتبرير للاخطاء.. وتبرير للضعف.. وتبرير للعجز.. وتبرير للهزائم.. والقاء التبعات كل التبعات على الظروف وعلى القوى الخارجية.

ولا شك بأن للقوى الخارجة عنا، وللظروف المحيطية بنا تأثيرها القوي.. ولكن السبب الاول فيما صرنا اليه وصار اليه الاسلام والمسلمون، انما هو نحن أنفسنا.. نحن غلبة أهوائنا أحياناً على ايماننا واخلاصنا، وفي قصور

معرفتنا ووعينا، وضعف طاقاتنا، وقلة عملنا وتضحيتنا.. وفي أشياء كثيرة أخرى لا مجال لتعدادها الان.. اننا نخشى أن يصبح العمل الاسلامي في كثير من حركاته ومؤسساته وعناصره.. ان استمرت هذه الحال، قيداً للاسلام والمسلمين بدل أن يكون انطلاقاً، وثقلا يجذب الى الخلف بدل من أن يكون قوة تدفع الى الامام، وعامل ضياع بدل أن يكون عامل هداية وأداة تشتيت للجهود والصفوف بدل أن يكون أداة توحيد للجهود والصفوف على الغاية والاهداف والطريق الموصل.

يجب اذا أن يتطور العمل الاسلامي على مستوى حركاته ومؤسساته وعناصره ومن أجل هذا التطور الضروري على مستوى الحركات والمؤسسات والافراد.. من أجل هذا التطور الضروري على أساس الاسلام الذي من أجله وجدت الحركات والمؤسسات وعمل الافراد.. من أجل هذا التطور الضروري المستوعب لسائر الظروف الزمانية والمكانية ولسائر القوى ــ والمؤثرات المحلية والدولية.. ــ من أجل هذا التطور الذي يتطلبه الاسلام وتستوجبه أوضاع المسلمين وحقائق العصر.. نمد أيدينا للتعاون مع العاملين للاسلام حركات ومؤسسات وأفراد لا نفرق بين حركة وحركة، أو مؤسسة ومؤسسة أو فرد وفرد إلا بمقياس الاسلام وبمصلحة الاسلام ولا يكون لأي عامل من العاملين عندنا إلا الموضع الذي يضعه فيه الاسلام.



في الذكرى السادسة لانتصار الثورة الاسلامية

«.. منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة» (آل عمران.. ١٥٢)

الاستاذ عثمان نصر الله

كثيرون من المتغربين، ولعل الكثيرين حتى من بين الاسلاميين ماكانوا يتوقعون انتصار ثورة اسلامية تهدف الى اقامة دولة اسلامية بكل ماتحمل الكلمة من معنى في اواخر القرن العشرين الميلادي الموافق اواخر القرن الرابع عشر الهجري.

كان المتغربون قد ظنوا ان الاسلام الجهادي السياسي الحضاري انتهى، ولم يبق منه الا بقايا في المساجد وكليات الشريعة وعلهم صدقوا ماقالوه عن الاسلام انه اصبح من الماضي المندثر، وماعاد قادراً على مواجهة تحديات العصر. اما من جهة الكثيرين من الاسلاميين فقد اعتبروا ان الدخول في معركة حاسمة مع الطغيان الامبريالي وعملائه غير مأمون العواقب في هذه الفترة التاريخية من الزمن، ولن يكون مصير التصعيد في المواجه غير الفشل، واراقة الدم الاسلامي ولهذا راحوا يخططون الى امد بعيد عسى ان تتبدل موازين القوى القائمة و يصبح بالامكان للاسلام ان يعيد الجولة و يستعيد الصولة.

على ان الامام الخميني كان منذ ثورة خرداد ١٩٦٣ م. الموافق ١٨٨٣ ه. قد راح يعد العدة للاطاحة بالشاه والمضي قدماً بأقامة جمهورية اسلامية من طراز الدولة الاسلامية الاولى التي اسسها الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

لقد رأى ببصيرة نافذة، مشحونة بالتقوى والتصميم، ان بالامكان خوض الصراع الناجح تحت راية الاسلام ضد الطاغوط العالمي وصنيعته الشاه فوق ايران فراح يعمل بأتجاهين اساسيين: **الاول** مخاطبة الامة والتوجه اليها لحمل قضية الاسلام، والاستعداد للجهاد في سبيل الاطاحة بالطاغوط واقامة الدولة الاسلامية، اما الاتجاه **الثاني** فكان جيل من العلماء والطلائع الاسلامية التي تتبنى هذا الخط وتعمل في صفوف الجماهير توجهها وتعبئها ولاتحجم عن تحدي طغيان الشاه مهما كلف ذلك من ثمن في البذل والفداء والتضحيات سجوناً وتعذيباً وافقاراً واستشهاداً. مما تطلب التركيز على تزكية النفس حتى يكون بقدرتها مواجه هذه المهمة الجليلة والتزكية تعني تعميق الايمان بالله الواحد الاحد، والارتفاع به الى مدراج التقوى والاحسان وتهيئة النفس للشهادة في سبيل الله

والترفع عن الهوى ومطامع الدنيا، والسمو فوق سوط الارهاب، وسيف الجلاد.

ثم ادار الامام الخميني بعد ذلك جولات الصراع في مدها وجزرها وفي مختلف تعقيدها، بحكمة بالغة، وتقدير دقيق للظروف والمعطيات والموقف العام، فأحسن قيادة الشعب حتى استنهضت الجماهير المليونية، وأحكمت الضربة وهوى عميد طغاة بلاد الشرق، فقط وهو مؤيد من امريكا واوروبا والكتلة السوفياتية والصين. واذا بالسلام يعود لصنع التاريخ فوق بقعة من دار السلام عظيمة الاهمية في الاستراتيجية الدولية. فأسقط بيد المتغربين وتدحرجت الى الهاوية نظرياتهم حول عدم قدرة الاسلام على التحرك من جديد في هذا العصر، وهزت افكار اليائسين من الاسلاميين هزاً عنيفاً حين رأوا ان مشروع اقامة دولة للاسلام مشروعاً راهناً وليس مؤجلا في اعماق المستقبل البعيد. انها الارادة الربانية ان يجيء النصر الاسلامي مفاجأة لاعداء الاسلام، كما جاء تذكيراً للمسلمين بالا يحزنوا لان الله معهم فليكونوا مع انفسهم ايماناً وعملا وفق هدي الاسلام لتعاد الامور الى نصابها.

ولكن بعد الانتصار الاسلامي العظيم الذي تمثل بالاطاحة بشاه ايران راحت اصوات النعيق من كل جانب تستعيد انفاسها لتقول ان الاسلام غير قادر على ممارسة الحكم، وادارة الدلة ومواجهة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والتنموية، ناهيك عن خوض غمار السياسة الدولية وتعقيداتها. ولهذا خرجت اصوات تطالب العلماء الى حوزاتهم ومساجدهم ومعهم المجاهدين الاسلاميين والتخلي عن فكرة اقامة دولة اسلامية لمصلحة دولة «ديمقراطية» او «اشتراكية» او دولة بين هذا وذاك، ولابأس ان حملت شكلا اسم «اسلامية ديمقراطية» او «اسلامية اشتراكية». على اقامة دولة اسلامية وخوض هذه التجربة بكل ابعادها فيتوجه الى الجماهير ومعه قلة من العلماء يستفتونها حول اقامة الدولة الاسلامية واذا بها شديدة الحماسة الى جعل كلمة الله هي العليا في كل امر من امور الامة.

وبدأت التجربة الغربية: **اقامة دولة اسلامية تحمل راية الجهاد في سبيل الله** بينما العالم الاسلامي يستقبل القرن الخامس عشر الهجري، والكتلتان الغربية والشرقية تخططان لمواجهة عالم عام الفين وهنا بدأت الحملة الامريكية ـ الاوروبية المسعورة تشدد الكير على الثورة الاسلامية التي شقت طريقاً ثالثاً فراحت الصحف والمجلات تفتح ملفات الاسلام من اجل اعداد الخطط لمواجهة واجهاض قبل ان يستفحل ويمتد ناره ـ بل نوره ـ مع نطاق الف مليون انسان. واوجت قوى العلمانية في الدول العربية والاسلامية خيفة من هذه المسيرة التي لم تتوقف عند الاطاحة بالشاه. وزاد من خطورة الامر في تقديراتها مارأت من حماسة جماهيرية للاسلام على نطاق البلدان الاسلامية جميعها ومن ارهاجات للتوجه الى السير على طريق الاسلام. واخذت تخشى من مصير ينتظرها

كمصير الشاه، وهي التي عجزت تحت راية العلمانية والديمقراطية والاشتراكية والشعارات «اليمينية واليسارية» ان تحل مشاكل الامة، بل فشلت حتى في المحافظة على الاستقلال السياسي وبلوغ الاستقلال الاقتصادي، وانما زادت تبعيتها السياسية والثقافية والاقتصادية للشرق والغرب. وخزيت لما ابدته من تقاعس في مواجهة الكيان الاسرائيلي. ولهذا كان لابد من ان تنصم الى حملة العداء للاسلام عموماً، وللثورة الاسلامية في ايران، خصوصاً، وركزت نيرانها على تحطيم كل تحرك اسلامي في ديارها. واتخذت في ذلك الاساليب كثيرة كان اولها اخذ موقف ثقافي من الاسلام على مستوى الرؤساء الذين حرصوا على نشر صورهم وهم يصلون. وكان ثانيها محاولات اطلاق الابواق التي تفسر الاسلام بما يبعده عن طريق اقامة دولة اسلامية والتصدي لحل مشكلات الامة. وبهذا وجدت القوى المحلية المعادية للاسلام في ايران سنداً خارجياً قوياً لتبدأ حملة مضادة للثورة بدأت بالاغتيالات وتشجيع التمردات المسلحة المختلفة، وانتهت الى المناداة العلنية الى حمل السلاح في وجه الثورة الاسلامية. مما اغرق البلاد فيما يشبه الحرب الداخلية. وكان على الثورة الاسلامية ان تقدم المئات من خيرة قادتها وابنائها على طريق الشهادة مرة اخرى ويكفي ان نذكر الشهداء بهشتي ومطهري ومحمد منتظري ورجائي وباهونار ولكن كان عليها ايضاً ان تهب للدفاع عن الاسلام وقمع الثورة المضادة. وقد رافق ذلك اندفاع قوات صدام حسين لاحتلال اراض واسعة من ايران وتشريد بضعة ملايين وابادة مدن وقرى وتقتيل مئات الالوف.. مما فرض على الثورة الاسلامية الفتية حرباً ظالمة كان عليها ان تواجهها بميزان قوى عسكرية في غير مصلحتها بشكل كبير. مما جعل الكثيرين يتنبأون بأقتراب نهاية الثورة الاسلامية واصبحت صورة الوضع كالتالي: في الداخل حرب مضادة شرسة، وعلى الحدود حرب اجتاحت مناطق شاسعة، وفي العالم حرب اعلامية وسياسية واقتصادية مركزة شاركت فيها الدول الكبرى بكل اجهزتها. وهنالك بعض ضعاف النفوس من الذين انخرطوا في صفوف الثورة الاسلامية اصيبوا بالارتباك والهلع امام كل ذلك. وهنالك البعض من الاسلاميين خارج ايران راحوا ينسحبون من تأييدهم للثورة ووقوفهم الى جانبها ليتركوها وحيدة تلق مصيرها.

وادى هذا الوضع الصعب الى ان يرتكب البعض من ابناء الثورة الاسلامية وهم يواجهون الحرب الداخلية عدداً من التجاوزات التي خرجت على مايقضيه شرع الاسلام من المحافظة على الاصول الشرعية حتى في احلك الظروف وفي مواجهة هجمات الاعداء مما سمح لاعداء الثورة ان يعطوا صورة دموية للثورة الاسلامية من اجل تحريض المثقفين والجماهير عليها، وتشويه صورة الحكم الاسلامي.. وبهذا تضافرت مجموعة تلك العوامل لتضعف التأييد الاسلامي والعالمي

الذي حظيت به الثورة الاسلامية وهي تطيح بشاه ايران. وبدأت الثورة في مأزق حقيق.

وهنا مرة اخرى يبرز خط الامام الخميني ليواجه كل هذه الاوضاع، ببصيرة نافذة سديدة، معززة بالتقوى والاتكال على الله، ومدعومة بتأييد الملايين من جماهير المسلمين في ايران، فمن جهة كان القرار الحاسم بالثبات في خوض الحرب الخارجية المفروضة على الثورة الاسلامية والصلابة في خوض الحرب الداخلية المعلنة من المنافقين الذين اشهروا السلاح، وبعدم الخوف من مواجهة الحملات الاعلامية العالمية ومؤامرات الدول الكبرى ورؤسائها وفي مقدمتها امريكا وفرنسا، ثم في مواجهة السوفيات عندما انضموا بدورهم الى حملة التشهير والتآمر على الثورة الاسلامية. ثم كان موقف الامام الخميني المشرق في شجب كل التجاوزات والاعتداءات التي ارتكبت من قبل افراد من ابناء الثورة الاسلامية فاصدر بيان الثماني نقاط الشهير الذي طالب بأن تبق كلمة الله هي العليا حتى في اقبية السجون وفي معاملة خصوم الاسلام اي ان يطبق الشرع ولايترك المجال مفتوحاً للنزوات او الاخطاء او ردود الفعل تحت حجة الدفاع عن الاسلام او مقاومة اعداء الاسلام. وبهذا كرس الامام الخميني خطاً اسلامياً انى بنه، بما لايقاس، ماعرفته الثورات الاخرى غير الاسلامية في مثل هذه الحالات، بل ادنى منه مايطرح من مبادىء حول حقوق الانسان وسيادة القانون.

وكان خط الامام الخميني بالمرصاد ايضاً لكل الاتجاهات التي حاولت الانكفاء بالثورة في حدود ايران، تارة تحت دعوى عدم جدوى التمسك بالوحدة الاسلامية بين السنة والشيعة، وتارة تحت دعوى الالتفات الى حل مشاكل ايران وبناء الدولة الايرانية القوية المهابة بعيداً عن مخاطر التمسك بالثورة الاسلامية العالمية والالتزام بقضايا الامة الاسلامية.

اما من جهة اخرى فقد ارتفع خط الامام الخميني من خلال التمسك بالوحدة الاسلامية، على كل تلك الدعوات من خارج ايران التي حاولت لثارة موضوع السنة والشيعة، حيث تذكرت، فجأة، ان هنالك خلافات بين السنة والشيعة. وراحت تحرض ضد الثورة الاسلامية في ايران تستفزها لتنكفىء على نفسها وتتخلى عن الوحدة الاسلامية.

كان هذا الارتفاع من قبل الامام الخميني على هذه الدعوات الجاهلة للتفريق بين السنة والشيعة بينا ديار الامة الاسلامية كلها مستباحة لاعداء الاسلام من كل طراز ولون، قد اثبت عظمة هذه الثورة الاسلامية.. وهي عظمة مستعدة من الاسلام قبل كل شيء.

ان الخروج بالدروس والعبر الصحيحة من تجربة الثورة الاسلامية المباركة خلال السنوات الستة الماضية في ايران يضع بين ايدي الحركة الاسلامية العالمية ثروة نظرية وعملية خطيرة الاهمية بالنسبة الى القضية المركزية التي تواجه اهل الاسلام في هذا العصر الا وهي اعادة الاسلام الى موقع الهداية والقيادة في المجتمعات الاسلامية في الحكم

والسياسة والتربية وتسيير مختلف شؤون الحياة. وهذا ليس باليسير ولا السهل وما هو بمتناول اليد، فهنالك العقبات الكبرى التي تقف في وجهه فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً وحضارياً من قبل الطاغوت العالمي المتجبر، وهنالك انظمة التجزئة في البلاد الاسلامية وهي نهجت طرق العلمانية وآلت على نفسها ان تلهث وراء الحضارة الغربية، وتبعد عن الاسلام وتبعده بكل الوسائل والطرق عن الدولة والحكم وسائر شؤون الحياة. وهنالك العقبات الناجمة عما اصاب الجسم الاسلامي من سلبيات وعوامل ضعف تحول دون النهوض وقبول التحديات، وتسمح بالفرقة الداخلية، وضع بأس المسلمين بينهم. وهنالك المصاعب الناجمة عن حل مشاكل التخلف العلمي، وفقدان الامن الغذائي والصناعي والعسكري. وهنالك المخاطر الاتية من وراثة دولة قامت على التجزئة والتغريب والقمع والاستبداد.

ومن هنا حملت التجربة الاسلامية في ايران سمة الريادة في اقتحام مشاكل المسلمين في نهايات القرن الرابع عشر وبدايات القرن الخامس عشر الهجري من خلال اجترائها على اقامة حكم اسلامي، شكلا ومحتوى، وسط كل تلك الظروف والتحديات والعقبات. انها تجربة اسلامية نبذت عنها نموذج التغريب والحضارة الغربية وسعت لشق الطريق المتميز، فكان عليها ان تجعل مسارها في كل المجالات زيتونه لاشرقية ولا غربية في عالم يلقن اطفاله ان لامجال للتخلص من تبعية للكتلة الغربية بزعامة امريكا او الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفياتي، ومن يفعل غير ذلك يكون قد ركب الشطط ومصيره الفشل. وبهذا حين تثبت الثورة الاسلامية ان من الممكن، تحت رايات الاسلام، عقيدة وفكراً ونظاماً ومنهجاً، ان تنجر معركة التحرر من الاستعمار والامبريالية ويمكن ان يتحقق استقلال حقيقي سياسياً واقتصادياً وحضارياً، ويمكن ان تقدم دولة من نمط جديد تهتدي بهدي الاسلام، ويمكن ان يكون هنالك صمود وثبات في مواجهة مختلف الحروب والمؤامرات التي تشن لمنع قيام حكم اسلامي، ويمكن ان يفتح الطريق امام الجماهير الاسلامية العريضة لتخرج من ظلمات العبودية الى نور الاسلام فتمتلك حرية حقيقية لتصنع مستقبلها، فتزرع الارض وتشيد المصانع وتفتح المدارس، وتنشيء المستشفيات تحت راية لا اله الا الله. ولهذا لامبالغة حين ترى تجربة الثورة الاسلامية في ايران خلال السنوات الست تحمل معاني ذات ابعاد هامة جداً بالنسبة الى الف مليون مسلم بل بالنسبة الى العالم اجمع.

لقد ضربت الثورة الاسلامية مثلا رائداً في القدرة على الجهاد الجماهيري والمسلح تحت اقسى الظروف ومن بينها اختلال التوازن العسكري المادي في غير مصلحتها. وضربت مثلا في الصمود امام اشد الحملات الاعلامية العالمية التي تفقد المسلم ثقته بنفسه وبدينه،

وضربت مثلا في التوجه الى الزراعة للخلاص من عبودية اعتماد المسلمين على الغرب في غذائهم وملبسهم ومسكنهم وطرق معاشهم، وضربت مثلا في السعي للوحدة الاسلامية وتجاوز احكام اتفاقيات سايكس بيكو ومؤتمر باريس وغيرها التي تمنع على المسلمين ان يتحدوا. ولكن ذلك لم يمر بدون نواقض وسلبيات واعوجاج هنا وهناك في داخل صفوف الثورة الاسلامية. فقد ظهرت عدة اتجاهات تبتعد عن ذلك الخط الاسلامي الذي رسمه الامام الخميني لمسار الثورة فكم من عنعنات خرجت هنا وهناك لتصب الماء في طاحونة الفرقة الاسلامية والنزعات الذهبية الضيقة وكم من اتجاهات ضعفت امام ضغط المعارك والحملات الاعلامية الدولية فسعت الى الانكفاء ضمن حدود ايران وقبول شروط سلم مذل، وكم من اتجاهات ارادت ان تجعل اجهزة الدولة تسعى للسلطان والسيطرة على مقدرات البلاد، والغاء دور الامة وفعاليتها، وكم من اتجاهات نسيت احكام الله وهي تواجه المتآمرين والمرتدين، فتجاوزت واعتدت. وكم من اتجاهات نسيت الاستقامة وتزكية النفس فجعلت السلطان لا القرآن غايتها، وبعضها غرق في التطلع الى الوجاهة والرفاهة والابتعاد عن المستضعفين الذين غذوا بدمائهم وتضحياتهم شعلة الثورة الاسلامية ومازالوا.

ان نظرة شاملة على كل جوانب الصورة تجعل المسلم يرى ان الاتجاه العام لمسار الثورة الاسلامية في ايران بقي محافظاً على طريقه الرباني بقيادة الامام الخميني الرشيده، وتجعل من واجب المسلمين في الارض الوقوف الى جانبها والدفاع عنها وهم يقومون بواجبهم الشرعي في السعي لاعلاء كلمة الله فوق الديار التي يقفون عليها كما فعلت الثورة الاسلامية في ايران. ولكن مع ذلك وبعده لابد من ان تنصر هذه الثورة من ابنائها في داخل ايران ومن المسلمين خارجها من خلال تقويم كل اعوجاج حتى يستقيم المسار و يظل الامداد الالهي متواصلا في نصره المسلمين حين ينصرون انفسهم باتباع طريق الاسلام اتباعاً خالصاً سديداً لا شبهة فيه ولا عوج ولا هوى.

ومجلة «الطليعة» الاسلامية، وهي تحي الثورة الاسلامية وتنحني اجلالاً امام تضحيات شهدائها وابنائها في ايران تدعو الله تعالى ان يطيل عمر الامام الخميني، و يسدد خطى كل المخلصين من قادة الثورة الاسلامية، ويجعل طريق اهل الحكم الى الاستقامة والعدل والتقوى لا الى السلطان والنفوذ والهوى، فتقوم دولة العدل الاسلامي لا دولة الاجهزة وتتضرع الى الله العلي القدير ان يبقى هدف الوحدة الاسلامية وتحرير بيت المقدس في مقدمة كل الاهداف.

اما كلمتنا الاخيرة وهي نصيحة الاخ لاخيه **«لتبق الجماهير المليونية فاعلة نشطة في الشوارع والمزارع والمصانع والخنادق تدوي بنداء لا اله الا الله»**.

أخلاق المسلم الطلائعي

إن العمل في الحقل الإسلامي طريق محفوف بالأشواك وبالمكاره والصعاب هذه سنة ماضية «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» — الحديث الشريف.

وتزداد صعوبة العمل الإسلامي في هذه المرحلة مرحلة التجزئة والتغريب.. مما جعل العمل الإسلامي الأصيل والمستقل والمتميز غريباً حتى عند بعض المتسمين بمسلمين!! لأن كل شيئ وكل وسيلة في أيدي الغرب وعملاء الغرب مسخرة في هذه المنطقة ضد أصالة الأمة مما يدفع ابناءها إلى تقويض أركانها بلا وعي.. حيث سلبت العقول وشلت الإرادات ضمن مشروع إستكباري صليبي — صهيوني نفذه في المنطقة حراس التجزئة — الحكام وحراس التغريب — جيل المفكرين والمثقفين المتغربين.

إن هجمة هذه أهدافها وهؤلاء هم القائمون عليها لا يمكن أن نواجهها بأعمال عفوية ولا بعواطف جياشة لأننا بصدد مواجهة عدو أكبر أن يحطمه العمل العفوي!!

إننا بحاجة إلى طليعة تعي طبيعة هذه الهجمة وتعي دورها جيداً فتضع نصب أعينها إما النصر أو الشهادة وتتقدم في إطار عمل يحكمه النظام والإخلاص. لأن النظام هو أساس النجاح والإخلاص هو الضمان الوحيد لاستمرارية المواجهة.

إن هذا الموضوع — أخلاق المسلم الطلائعي — لا يدعي مناقشة موضوعة الأخلاق من كل جوانبها بل معظم ما سيرد هو من بديهيات ديننا الإسلامي الحنيف التي يعرفها الكثيرون وإنما هو التذكير إمتثالاً لأمر الله «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين».

من هذه الأخلاق

١ — الإلتزام بمبادئ الحركة الإسلامية:

إن المقصود ليس الإلتزام الحزبي الذي يعتبر عنصراً هاماً في تكوين أبناء التنظيمات القومية والوطنية والماركسية.. ولكنه الإلتزام القائم على أرضية الوعي بمهمة ودور الحركة الإسلامية في إحباط مشاريع الغرب وإقامة الحكم الإسلامي.

إننا بهذا الإلتزام انما نجدد ولاءنا لإسلامنا العظيم وتشوقنا لأن يسود العدل والسلام أرجاء المعمورة تحت ظلال خلافة الإسلام.

والإلتزام هنا بمبادئ ورؤى الحركة الاسلامية لا يعني بالطبع التشبث برؤى احد التنظيمات الإسلامية الخاصة إنما هو الإلتزام بالتصدي للتغريب والغرب والكيان الغاصب للقدس والجهاد من أجل إقامة الحكم الإسلامي وإنشاء الحياة الإسلامية إلتزاما لا يفصمه إلا الموت.

٢ — الإنضباط:

المسلم أولى من ابناء التنظيمات التغريبية بهذا الخلق.. إن الإنضباط في تنفيذ تعليمات الحركة الإسلامية هو أساس إنتظام سير الحركة الإسلامية وهو مع الإخلاص وتوفيق الله أساس النجاح.

٣ – السرية والكتمان :

إن الظروف المحيطة بالحركة الإسلامية وخاصة وجودها في بيئة تتميز بالجو البوليسي من قبل أنظمة التجزئة والتبعية للغرب. بالإضافة لقوى الإستكبار العالمي تفرض على المسلم الطلائعي أن يكون على قدر كبير من الخبرة الأمنية في واقع عمله. ويتدرب على العمل الناجح بدون ضوضاء لا تفيد.

ويجب التعامل مع الرأيين الأمينين اللذين سيأتي ذكرهما بحذر شديد وعدم الوقوع في النصية أو التمييع والتبسيط.

الرأي الأول : حين وقوع الفرد بين أيادي العدو يجب أن يكون شعاره (لم أر. لم أسمع. لا أعرف)

الرأي الثاني : حين وقوع الفرد بين أيادي العدو يجب الهاؤه بعظمة أي بقصة مختلقة.

٤ – الأخوة والحب

ديننا دين الإخاء والمحبة «واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم واصبحتم بنعمته إخواناً» هذا التوجيه كان لعوام الخزرج والأوس ومن باب أولى أن يلتزم به الطلائعيون الذين يواجهون هذا الضنك الشديد في كدحهم فليكن الأخ البلسم المداوي لأخيه يدخل عليه السرور والسعادة ويحميه في (عرضه وماله وشرفه) وإن استلزم الأمر أن يقدم نفسه دفاعاً عن أخيه في مواطن الدفاع عن هذا الدين وعن أمة الإسلام العزيزة.

٥ – **التواضع** : وعدم التعالى. والسماح للكبر ان يتسرب الى نفوسنا وبالتالي نفسد ايماننا بالله ويتسرب الى نفوسنا الغرور والتعالى.

فإن ما يقدمه الشخص يصبح لا قيمة له اذا اقترن عمله بالتعالى والغرور وكيف لا ورب العزة يقول في محكم كتابه : «ان الله لا يحب كل مختال فخور» (١٨ لقمان) فمن ذلك نفهم أن التفاخر والغرور هي من الخصال السيئة المذمومة. وأما التواضع فهو التواصل أو صبر الالتقاء مع الجماهير ومع الأمة التي هي السند الأقوى للحركة الاسلامية. والتي هي الحاضن الحنون لابناءها من الحركة الاسلامية.. وهو الحبل الذي ينقذ المسلم من الدنيا وغرورها.

٦ – **التضحية ونكران الذات** : ان من الصفات الحميدة في الانسان أن يكون على قدر كبير من التضحية. فما بالك بالمسلم الذي باع نفسه لله. لا يرجون من هذه الدنيا غير رضاء الله. وهجر الغضن والثمين قرباناً لله سبحانه وتعالى. فإن من الأجدر بهذا المسلم أن يشتعل عشقاً للقاء الله بحيث يتعالى عن الروابط الارضية وعن وسوسات الشيطان.

والا أصبحت أو تحولت الحركة إلى مجموعة اشخاص تجمعوا لكي يعينوا بعضهم على تحقيق مآرب شخصية. وبالتالي يبتعدوا عن المنهج الالهي بقدر توجههم إلى أهدافهم الشخصية وتحقيقها.

ومن بديهيات العمل الاسلامي أن المناصب هي تكليف وليست تشريعاً. والكل

يعرف مقولة عمر الشهيرة «والله لو تعثر بعير في دجلة لسئلت عنه يوم القيامة».

إن المنظور الاسلامي يفرض على المسلم ان يضحي بأغلى ما يملك في سبيل نصرة دين الله.

وإذا تحققت فينا هذه البديهية الاسلامية فإننا نكون قد حققنا خطوة في طريقنا الى الجنة وفي طريقنا إلى رفع الظلم عن العباد.

٧ – **الشجاعة** : والتي يجب أن يتميز بها المسلم الى جانب مجموع الميزات الأخرى فهي ميزة مهمة.

وكيف لا والمسلم هو الاجدر بأن لا يخاف من كل ما هو وضعي أو ارضي أو مخلوق وأن حبه لله هو الذي يوجهه وهو الذي يمهد له المصاعب ويخفف عنه من عبئ العناء.

وإن شراسة الهجمة التي تواجهها امتنا الإسلامية تفرض علينا بأن نكون على قدر المسؤلية. وأن لا نهاب في سبيل الله اي قوة كانت.

٨ – **الصدق. الطهر والعفة** : إن امتياز المسلم بمجمل الخصال الحميدة واعتباره قدوة تقتدي بها الأمة. يسهل حركة المسلم في الوسط الذي يعيش فيه. وخصوصاً إن جميع من حاولوا أن يضعوا حلولاً لنكبة هذه الأمة غاصوا في وحول تصرفاتهم ونزواتهم التي أفقدتهم قيمتهم في عين الأمة.

إن إسلامنا العظيم يفرض على المسلم أن يتحلى بأروع الأخلاق والصفات وبالتالي فإن هذا الأخ المسلم يفرض وجوده واحترامه بقوة على الآخرين.

٩ – **الحس الجماهيري** : اما الإرتباط بالجماهير فهو الموضوع الأكثر حساسية. فالجماهير هي الدرع الواقي للحركة الاسلامية. وهي ضمانة الحركة الاسلامية. وأن كل أمل الحركة الاسلامية هو تحقيق العدل والرخاء وتطبيق شرع الله في الامة.

ولكي نكون الأقرب للجماهير. فمن المفروض على أي تنظيم كان أو حركة او تجمع ان يكون أقرب الى قلوب الأمة والجماهير. ليس فقط بالشعارات والعبارات الرنانة وانما يجب أن تترجم هذه الشعارات على أرض الواقع.

وبالتالي فعلى الحركة الاسلامية أن تتبني وبكل جدية أمال وآلام هذه الأمة المنكوبة في عزتها وفي كرامتها.

ويجب كذلك على الحركة الاسلامية ممثلة في عناصرها أن لا تقف في وجه جماهيرها. وأن لا تهادن او تهاون في حقوق الأمة.

إن جماهيرنا الاسلامية وعلى ضفاف محور طنجة جاكرتا اثبتت انها هي الأسخى في عطائها وانها هي الحارس اليقظ على الحركة الاسلامية أن هي أحسنت. فهاهي جماهيرنا الاسلامية في طهران قد تصدت بجرأة وشجاعة نادرة لم يعرفها التاريخ لأعتى وأفجر الطغاة. وبذلت الغالي النفيس في سبيل اعلاء كلمة الله.

وهي على إستعداد كامل لأن تدفع بكل ما تملك في سبيل الله.

إن أي اقتراب من السلطات العميلة في عالمنا الاسلامي أو قوى الاستكبار العالمي سيحدث النفور في نفوس جماهيرنا الإسلامية بالإضافة لكونه سلوكاً إنتهازياً غير إسلامي.

١٠ الوعي العام اما قضية الوعي للاخ المسلم فهو أمر هام له . بالدرجة الاولى . وإن كان الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم دعيا الى العلم والوعي . في أكثر من موضع فيقول تعالى «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» .

كما يقول عز وجل «انما يخشى الله من عباده العلماء» . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» . وكذلك كثير من الاحاديث الشريفة التي تحض على العلم .

أما وعي الأخ المسلم فيتشعب إلى ثلاثة فروع رئيسية . تسير مع بعضها فمن الواجب على المسلم أن يكون على علم بدينه وباسلامه العزيز . وان يتزود باكبر قدر ممكن حتى يكون له حصن منيع . فعلم المسلم كالوقود بالنسبة للمصباح كلما زادت كمية علمه زادت إضاءته .

أما الفرع الثاني فهو علمه بالتاريخ . لأن التاريخ لا يزال قضية الانسان منذ الأزل . فإن الوعي بالتاريخ الذي هو عبارة عن مجموعة من تجارب . يختصر في تقدير الأمور .

«ومن هنا ندرك نحن الابناء الحقيقيون اهمية وعي التاريخ وانه المفتاح الذي بين ايدينا كي نفهم ماضينا ونعي دروسه وتجاربه وعبره وبالتالي نؤثر في حاضرنا ولا نكتفي بالجلوس في مقاعد المتفرجين» عز الدين ابراهيم – التاريخ لماذا .

كما يستطرد الدكتور عز الدين ابراهيم فيقول : «هذا النهم وهذا التأثير كلاهما سيقودنا بالتالي إلى امتلاك المستقبل ولقد عانينا كثيرا منذ غاب وعينا التاريخي ففقدنا حسنا بهويتنا وأصالتنا ووقفنا عاجزين عن تحديد مواقع أقدامنا ناهيك عن أمكانية استشراف المستقبل» .

اما الفرع الرئيسي والأخير فهو الوعي بالواقع : فكيف يمكن ان يتسنى لنا ان نعمل في جو أو في بيئة لا نعرفها . ولا نعي ما هو كنهها .

إن الوعي بالواقع وملابسات الواقع يساعد المسلم على الحركة في الوسط الذي يعيش فيه . ويختصر عليه جهداً ووقتاً هو أحوج لها في وقت مثل وقتنا هذا .

١١ الأقتصاد في الإنفاق : إن ظروف حركتنا الإسلامية وشح الامكانيات تفرض على المسلم ان يحافظ بقدر الأمكان على ممتلكات الحركة مهما كانت قيمتها .

لأن الأصل في الاسلام هو عدم التبذير «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً» .

فما بالك أخي المسلم في ظروف هي من العسرة بمكان . إن ديننا الحنيف يلزمنا بأن نحافظ بقدر الأمكان على أموال الحركة وعلى عتاد وممتلكات الحركة وأن نعتبرها ونتعامل معها كاملاكنا الخاصة بل أكثر . حتى نقي حركتنا من كثير من المواقف الحرجة .

وبالتالي نحافظ على أيدينا بعيدة عن أن تمتد لهذا أو ذاك استجداءً لطلب المال أو المساعدات .. مما قد يرهن الحركة لمواقف سياسية ! ؟

١٢ – العناية بالصحة الشخصية : قد يبدو هذا الامر بسيطاً للوهلة الاولى . ولكن كما

تقول الحكمة «العقل السليم في الجسم السليم» . فإنه من الواجب على المسلم أن يعتني بصحته الشخصية وأن يهيئ نفسه ليوم يكون فيه مطلوباً .

وكما يقول الآثر «إن لله عليك حقاً . ولاهلك عليك حقاً ولجسمك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه» .

وكذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف» .

١٣ – النقد : إن الجانب النقدي عند الطلائعي مهم لانه هو ضمانة سير الحركة الإسلامية في مسارها الصحيح ولابد أن ينمي الأخ هذا الجانب في شخص يستحسن الخير فيأخذ به ويستقبح الشر فيرفضه .. وبمقدار ما يجاهد الأخ للوصول إلى هذه الأخلاق سيوفقه الله لذلك «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» صدق الله العظيم .

«وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض» صدق الله العظيم .

واختم هذا الموضوع بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى «اللهم ارحمني رحمة لا تدر خبزاً ولا صيتاً . وقوني كيما أضحى بالخبز والصيت للايمان فأغدوا في صف الذين يقبضون مال الدنيا لينفقوه على الدين لا في صف الذين يقبضون مال الدين لينفقوه على الدنيا» .

«الهي وانت وحدك مصمعي فلا استعين الا بك ولا أرجو ثواباً إلا منك فالحساب الدين بيني وبينك ما فيه شريك ثالث اجل لكي اسوي الأمر الذي بيني وبينك وبين نفسي ولكي اتذوق حلاوة الاخلاص التي إذا تذوقها القلب عاف كل عسل وكل حلاوة الهي الاخلاص الاخلاص» .

عمر بهاء الدين الجزائر

دور دراسة ظاهرة الحج في تدعيم الفكر الاسلامي

ان القهر العسكري والسياسي والاقتصادي الذي مارسه النظام الغربي المعاصر على المجتمع الاسلامي في القرون الأخيرة، بلغ آوجه في الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى.. ووصولا الى عشية تفجر الثورة الاسلامية في ايران. فقد تمكن النظام الغربي اثناء هذه الفترة من احكام سيطرته على الجزء الأكبر من المجتمع الاسلامي عبر قواه المباشرة أو عبر القوى السياسية المحلية التي أفرزها في سياق القهر هذا. وكان من الطبيعي ان تنمو وتزدهر في ربوع العالم الاسلامي، كافة المدارس الفكرية المولجة بتبرير وتدعيم وتسويق نظام القهر. هذا لا يعني ان الحالة الاسلامية الت الى الفناء بل انكمشت ململمة جراحها العميقة وجاهدة في استيعاب دروس المعركة الكبيرة التي أدت الى هـزيمة العـالم الاسلامي أمام جبروت المجتمع الغربي المعاصر، ممهدة الطريق لنهضة جديدة، انتقلت تدريجياً من حالة المقاومة عبر هذه النقطة او تلك وصولا الى حالة الهجوم الشامل على كافة المستويات.

والهجوم الشامل هنا لا يعني بالضرورة اجتياح معاقل الامبراطوريات الغربية بوجهيها الرأسمالي والشيوعي بل يعني قدرة العالم الاسلامي على بلورة حركة اسلامية متكاملة قادرة على فرض نموذجها الاسلامي الاصيل على مستوى كافة التحديات التي يواجهها الفرد أو الامة. ولعل احد تعبيرات هذه الحركة الاسلامية المتكاملة تدشين العالم الاسلامي بداية جديدة لنشاطه الابداعي التوحيدي في مجال علوم الانسان والأمة تعيد مسيرة الفكر الاسلامي الى نصابها الطبيعي، متخطية بذلك حالة الوهن والضعف السابقين أو حالة المقاومة السلبية – رغم اهميتها الكبيرة في فترة الهزيمة – الى حالة من النمو والتفتح الايجابي الذي ينسج يوما بعد يوم مزيداً من خيوط الانعتاق والحرية حول محور التوحيد ومحور الاسلام. ثم لينتقدم بعد ذلك معلنا الحرب على الفلسفات الوثنية المعاصرة مفنداً اياها. مظهراً تناقضاتها، متجاوزاً اياها تجاوزا توحيدياً خالصاً.

ان تثبيت الحالة الاسلامية والارتقاء بها

الى مستوى الامة يضع بين ايدي الجيل الذي نحن منه كثيراً من الخيرات الفكرية التي تحثنا للعمل على بلورة آفاق عملنا الفكري بما يتناسب ويواكب حركة الامة ونهضتها المباركة. وليس ما يمنعنا من ان ننكب على دراسة الحالة الاسلامية الضاجة بالحياة، هادفين الى الاسهام ولو بنصيب في عملية تحرير الشخصية الفكرية للأمة الاسلامية من قيود الفكر الوثني المعاصر على هدى خط التوحيد والعدل، خطى العبودية لله والخروج على طواغيت العصر.

ان السموم والآفات والاختلالات المختلفة التي زرعتها الفلسفات الغربية المعاصرة سواء كانت ليبرالية أم قومية أو اشتراكية أو شيوعية في جنبات الامة الاسلامية، لابد ان تتعمق وتتركز مواجهتنا لها على المستوى العقائدي والفلسفي وعلى مستوى تعبيرات حركة الامة ونهضتها في معاقل العلوم الانسانية المختلفة وتفاصيل أبنيتها الجزئية كي نحكم المعركة باتجاهين: الأول سد كافة الثغرات، حتى التفصيلية منها والتي يمكن ان تشكل أماكن تسرب لوحوش الوثنية المعاصرة، والثاني لاستكمال أدوات الصراع الفكري في مواجهة طغيان الفكر الفرعوني المعاصر.

من هنا نرى أن تعميق فهمنا لظاهرة الحج، بهدف تكوين أفق موسوعي، يسد ثغرة كبيرة في الذاكرة الفكرية ويعطي للمزاج الابداعي الاسلامي دفعة هامة للأمام تحصينا لشخصيتنا الفكرية وتدعيما لقوتها في مواجهة كافة الأفكار الخبيثة التي بثتها الوثنية المعاصرة في ثنايا الجسد الاسلامي حول عقيدته وفكره وشخصيته.

المجتمع التوحيدي، «تعريف»:

المجتمع التوحيدي، هو المجتمع الذي يستمد من القرآن الكريم أسس وقواعد تكوينه الكلية، ويحاول التواصل مع هذا النص في عقيدته وعباداته، في تشريعاته ونظامه، وفي نظمه الخلقية والسلوكية. كما يستمد المجتمع التوحيدي من القرآن الكريم «منهجا» و «نظرة» محددتين بهما يواجه هذا المجتمع قضاياه المختلفة، وعلى هديهما يتعامل مع الآخرين. ان هذه العقيدة وهذا المنهج يزودان المجتمع التوحيدي، بنظرة معينة للانسان، والامة، والوجود، والكون، والقضايا المختلفة التي يواجهها.

وبذلك لا يكون المجتمع التوحيدي عبارة عن مجموعة «المسلمين» بل يتخطى ذلك الى حالة اجتماعية تاريخية كلية، تعبر عن نفسها في مختلف المجالات والميادين العقيدية والثقافية والاقتصادية والسياسية والفنية والفقهية» ان التصور الاسلامي للالوهية وللوجود الكوني وللحياة، وللانسان.. تصور شامل كامل. ولكنه كذلك تصور واقعي ايجابي»..

– «**لا اله الا الله**»: اي رد الحاكمية لله في امرهم كله، طرد المعتدين على سلطان الله بادعاء هذا الحق لانفسهم، اقرارها في ضمائرهم وشعائرهم، واقرارها في اوضاعهم وواقعهم».

– «**ان الحكم الا لله**.. أمر الا تعبدو الا اياه.. ذلك الدين القيم.. (يوسف ٤٠).

– «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

الكافرون» (المائدة : ٤٤).
– «فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله ورسوله». (النساء : ٥٩).
– «وخلق كل شئ فقدره تقديرا». (الفرقان : ٢).

ملاحظات اولية :

١ – يعتبر المسلمون ان القرآن الكريم، وحيا الهيا، يخطط (نظاما شاملا) لحياتهم. ولكن المجتمع الاسلامي التاريخي، رأى في «حواره» مع النص القرآني الكريم اطارين/الاطار الاول يشمل مجموع العقائد والكليات والاسس، واطارا ثانيا ينطوي على جملة فرائض وتشريعات تفصيلية. وهذا ما يطرح على الباحث سؤالا الا وهو:

كيف يتعامل المسلمون مع العقائد والكليات والاسس العامة؟

يرى المسلمون ان المشكلة محسومة فيما يخص الفرائض والتشريعات، ولكنه يطرح الاشكال فيما يخص الاطار الاول، أي مجموعة العقائد والكليات والاسس اذ كيف يمكن للمسلمين في «الزمان والمكان»، ان يستدلوا من هذه الكليات، قواعد تفصيلية زمنية؟

٢ – يعتبر المسلمون ان التجربة المحمدية التاريخية، هي الشكل الارقى للحوار ما بين المسلمين وبين كليات النص القرآني الكريم، اذ بلور وجسد الرسول في دعوته وممارساته المختلفة، نهجاً وقواعد تاريخية، اليها يرجع المسلمون في الزمان والمكان ليتشكلوا منهاجاً وعقيدة وسلوكاً بما يسمح لهم بالتواصل مع النص القرآني بأرقى الاشكال التي عرفت في التاريخ الاسلامي. اذا هنا تتوسط التجربة المحمدية العلاقة ما بين المسلمين في ظروفهم التاريخية المختلفة، وما بين النص القرآني الكريم، تشريعا، ومنهاجا، وسلوكاً. وبذلك يتقدم المجتمع التوحيدي خطوات كبيرة في حل اشكالية العلاقة ما بين الظرفي والزمني والمحدود والخاص (أي التاريخي) وما بين الكلي والمطلق والعام (القرآن الكريم).

٣ – يطرح المسلمون سؤالاً حول كيفية حل المعضلات التي لم يواجهها الرسول في عمره، وواجهت المسلمين فيما بعد. هنا يرجع المسلمون الى مقولتي: الاجماع والاجتهاد.

٤ – الاجماع: «هو اتفاق المجتهدين من هذه الامة في عصر من العصور على حكم شرعي. والاتفاق هو الاشتراك في الاعتقاد أو القول أو الفعل».

٥ – الاجتهاد أي الاجتهاد في الظرف والمكان، على ضوء ما تقدم من نص وسنة واجماع، وفق شروط ومقاييس محددة.

الحج كظاهرة :

يحتل الحج كفريضة موقعاً اساسياً في بناء وحركة المجتمع التوحيدي، اذ تعتبر هذه الفريضة احد اركان الاسلام، فالجماعة المسلمة تتعامل مع الحج باعتباره فريضة على كل مسلم ومسلمة الى «يوم الدين». مهما تغيرت الظروف وتقلبت الاحوال.

«ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا. ومن كفر فأن الله غني عن العالمين» (سورة آل عمران : ٩٧).

ويتواصل الحج مع منظومة عبادات لدى المسلمين، تبدأ بالصلاة والصوم، وتتوج

بالحج الا ان هذه العبادات المختلفة، رغم ما تحملها من خصائص مشتركة، يبقى لكل منها خاصية وفرادية، التي تتطلب من الباحث والعالم اعمال الفكر من أجل تحديد هذه الفرادة والخاصية. لذا فالحج، كظاهرة يمكننا القول انها في الوقت الذي تتدرج فيه ضمن نظام أعم من العبادات تحمل منطقها وقواعدها ووظائفها المميزة، الا اننا معنيين في الوقت نفسه بكشف أبعاد وخصائص وسمات هذه الظاهرة، بالذات لهجة منطقها الذي تتواصل فيه مع غيرها من العبادات من جهة، ولهجة فرادتها وتميزها من جهة اخرى.

ان هذه المنظومة من العبادات تتبدى للوهلة الاولى بالنسبة للباحث، على انها مجموعة عبادات فردية متناثرة، لا يجمعها جامع، وبالتالي، فبامكاننا مواجهتها معرفيا، كممارسة فردية، انطلاقا من منهج نفسي – ثقافي منظرا «لطبيعتها» هذه أو على انها امتداد لتجربة مجتمع في مرحلة معينة من التاريخ، على المستوى الايديولوجي. وبالتالي فاننا إما أن نعتبرها ظاهرة تاريخية، انتهت بانتهاء المرحلة التي ولدتها، وإما ان نعتبرها استمرار لبعض الشعائر والمعتقدات التي كانت سائدة في مرحلة معينة من تاريخ المجتمع الذي ولد هذه الممارسة.

ولكن مراجعة دقيقة لمعطيات الواقع المعاش من قبل المسلمين وغير المسلمين من جهة. ولمعطيات الحقب التاريخية المختلفة. التي مرت بها المجتمعات الاسلامية وغير الاسلامية، تكشف لنا ظاهرة الحج، تتسم بالاستمرارية التاريخية من جهة، وبتعدد الابعاد الاجتماعية التي تنطوي عليها هذه الظاهرة من جهة اخرى بحيث تغدو هذه الظاهرة، احدى الظواهر الاساسية التي تتكثف فيها وعبر اشكالها المختلفة المنطق العام او الأولويات العامة التي تنتظم البناء المجتمعي التوحيدي بكليته. من عقائد. وفقه. واقتصاد وسياسة، وفنون ومعاناة فردية وجماعية معاشة.

اي انها ظاهرة متعددة الابعاد، يمكننا ان نطال بالدراسة لها البعد العقائدي والاجتماعي، والاقتصادي والسياسي والنفسي، والجمالي. كما يمكننا ان نخطو خطوة اخرى من أجل تحديد بنية هذه الظاهرة والعناصر المختلفة المكونة لهذه الظاهرة في «ثبوتها» وحركيتها، في شكلها ومضمونها.

ومن جهة اخرى، يمكننا انطلاقا من الحيز الذي تحتله هذه الظاهرة في البناء الاجتماعي العام، وانطلاقا من جملة العلاقات والممارسات والاسس المتميزة التي تطبع هذه الظاهرة، ان نبين الدور الخاص والمميز الذي تقوم به هذه الظاهرة في وجود واستمرارية المجتمع الاسلامي ككل، واستمرار «الحالة الاسلامية»، على مستوى الافراد والجماعات من جهة اخرى، في مجتمع تاريخي محدد يحتضن هذه الظاهرة.

ان ما تقدم، يسمح لنا بالتحرر من المناهج السائدة، في ميادين علم النفس الغربي والتي ترى في ظاهرة الحج ظاهرة عبادية فردية ومنفصلة عن ميادين الحياة الاخرى وتعيش على هامش البناء الاجتماعي، للجماعة المسلمة كي تتعامل مع هذه الظاهرة

بوصفها إحدى الركائز المكونة والخاصة لمختلف السمات والخصائص والبنى التي تشكل مجتمعة، البناء الاجتماعي الكلي للجماعة المسلمة.

إن إحالة هذه الظاهرة الى مجموعة طقوس وشعائر تمارس من قبل العجائز والأميين في كثير من الكتابات الاجتماعية أو في الرأي الشائع، تكشف لنا رؤية ايديولوجية خاطئة وعدائية في آن معاً. تحاول تجزئ هذه الظاهرة واختزالها الى معطى ثقافي أو «تراثي»، توضع داخل طيات البنية الثقافية العامة للمجتمع.

وتذهب المدرسة الماركسية من جهة والمدرسة الاجتماعية الفرنسية من جهة اخرى (أوغست كونت، دوركهايم) الى ابعد من ذلك حيث ترى الماركسية هذه الظاهرة مخلفات وعي غير علمي ينتمي الى حقبة تاريخية ماضية وهو يستمر بحكم العادة أو التأخر ويلعب دور معيق للنمو الفكري العام، وبالتالي يجب العمل على تدمير هذا النمط من الظواهر.

وهذا مايؤدي عند اتباع هذه المدرسة أو المتأثيرين بها الى منزلقين خطيرين:

الأول، ذا طابع فكري يعمل على طمس وتغييب أبعاد هذه الظاهرة، والثاني ذا طابع ايديولوجي سياسي تتولد منه مواقف وممارسات سياسية ذات طابع عدائي في مواجهة المسلمين. أما المدرسة الاجتماعية الفرنسية (اوغست كونت، دوركهايم..) فترسي منهجاً معيناً يرى في هذه الظاهرة اما وعياً غير علمي أو فكراً ذا طابع قهري تفرضه المجتمعات على أفرادها، وما يؤدي اليه ذلك من عملية اغتراب ومسخ لشخصية الفرد في مواجهة القهر الاجتماعي العام. ان تبني هذه المناهج، أو الاستناد اليها في دراسة ظاهرة الحج، يجعل من الباحث أو المفكر أداة طيعة تعمل على إبعاده عن رؤية الواقع كما يعبر عن نفسه فعليا بعيداً عن كل تصور مسبق للمعطيات التاريخية، بدلا من ان يكون دعامة أساسية باتجاه كشف الممارسة التاريخية التي تعيشها وتبنيها المجتمعات أفرادا وجماعات.

التزود بمنهج ومفاهيم وأدوات صالحة للعمل البحثي:

بعد التوصل الى وضع تصور ومنهج ملائم لدراسة الظواهر المختلفة التي يحتضنها المجتمع التوحيدي، او الحالة التوحيدية (في حال عدم وجود مجتمع توحيدي متكامل) وما يستتبع ذلك من تطوير وبناء مفاهيم وأدوات منهجية مختلفة تسمح لنا بالتقاط وتفسير مختلف عناصر وجزئيات الظاهرة التوحيدية (منها الحج)، علينا ان نتقدم خطوة اخرى، من اجل معرفة ما تقدم، كما يمارس ويعاش ويعمل في الواقع التاريخي، حيث تأخذ الظاهرة التوحيدية (الحج)، اشكالها المحددة ومضامينها المميزة، في الزمان والمكان، وفقا للخصائص المميزة للمجتمع الاسلامي المعني بالدراسة.

في الواقع التاريخي، على اختلاف حقبه. تأخذ هذه الظاهرة بالتداخل والتفاعل والصراع مع معطيات وظواهر اخرى متعددة، مشدودة الى اثر ومرجعيات تاريخية مختلفة، تتعايش وتتصارع وتتكيف وتكيف النسق التوحيدي العام.

فالانتماءات العصبية، والا قوامية، والسلطوية، وغيرها من الظواهر، تفعل فعلها في الواقع المعاش، باتجاه الانفعال او الفعل في علاقتها بالظواهر التوحيدية المختلفة على مستوى الفرد، والجماعة، والامة، مما يعطي لهذه الظاهرة لونها المجسد.

بهذا نكون قد تمكنا من جهة، من بلورة أدوات نظرية ومفهومية قادرة على ضبط ومعرفة واقع الظاهرة وحركيتها، كما تحصل في التاريخ، بكل ابعادها وبكل تناقضاتها المعاشة في مرحلة تاريخية محددة. وبذلك نكون قد اقتربنا من امكانية صياغة استنتاجات مقاربة ومعبرة عن واقع التجربة او الظاهرة موضوع الدراسة.

ان هذا الجهد يسمح للمسلمين بمواجهة انفسهم، عبر مواجهة تجربتهم التاريخية بالتحليل والتقييم. فالتجربة التاريخية للمجتمع الاسلامي ليست ذات طابع مقدس، كما أنها بالمقابل ليست تجربة منحرفة خارجة على المرجعية التوحيدية. فما لا شك فيه أن التجربة التاريخية للمجتمع الاسلامي مرجعها الأساسي النموذج التوحيدي، أما فيما يتعدى ذلك فان هذه التجربة تجاذبتها نماذج اختلالية عدة (الملك، القهر، الفساد، الظلم، العصبية..)، والتعمق في فهم أبعاد وخلفيات هذا الواقع يفسح في المجال واسعا. لاستخلاص الدروس الفكرية والمنهجية والسياسية بما يخدم متطلبات النهضة الاسلامية المعاصرة على طريق تواصلها مع النموذج التوحيدي وتصفية أسباب الاختلال والتحلل العائدة الى تجربتها الخاصة قبل أي شئ آخر.

فمع قناعتنا الكاملة بأن الوضعية الراهنة للمسلمين، تتحكم بها أساسا علاقات السيطرة الدولية، الا أن مشروع النهضة الاسلامية يجد نفسه مسؤولاً في آن معاً عن مواجهة المستعمر ومواجهة الاختلالات العائدة الى التجربة التاريخية الاسلامية. إن وضع اليد على نقاط الضعف والانحراف، لا يضر الاسلام بشئ بل يحرر المسلمين من كثير من الأوثان والانحرافات التي لازمت تجربتهم التاريخية الرائدة، والتي أوجدت فيها ندوب سمحت لمشاريع القهر الخارجية بالنفاذ وإيجاد التربة الملائمة لتأسيس قواعد سيطرتها داخل المجتمع الاسلامي نفسه.

الحج ظاهرة عالمية:

عند كل ديانة من الديانات اماكن مقدسة يؤمها اتباع الديانة وفق تقاليد وطرق وآداب محددة، وفي مناسبات مختلفة. فالديانة اليهودية ومن بعدها الديانة المسيحية، تعتبران بيت المقدس وما حوله من آثار ومشاهد، مركزهما الروحي الأصيل.

فقد جاء في «دائرة المعارف اليهودية»[1] مايلي:

«ان الحج الى بيت المقدس الذي كان يدعى بالزيارة يؤدى في زمن ثلاثة أعياد (وهي عيد الحصاد، وعيد الفصح)، اليهودي، وعيد المظال، وكان الحج فريضة على جميع اليهود، باستثناء الصغار الذين لم يبلغوا الحلم، والاناث، والعميان.. وكانت الشريعة الموسوية توجب على كل «حاج أو زائر» ان يأخذ معه «تقدمة للرب».. وهناك مشاهد وضرائح وأمكنة، يشد اليها الرحال

في كل قطر وبلد».

كذلك في الديانة المسيحية، فان الحج (٢) «اسم للرحلة التي يقوم بها الانسان لزيارة المشاهد المقدسة، مثل مشاهد الحياة الدنيوية لسيدنا عيسى (عليه السلام) في فلسطين، او مراكز زعماء الدين المقدسة في «روما» او الامكنة المقدسة التي تنسب الى المقبولين من الزهاد، والشهداء».

وقد جاءت زيارة مشاهد روما من القرن الثالث عشر على حساب زيارة الأرض المقدسة، وان لم تنقطع زيارة الارض المقدسة بتاتا، وكانت «روما» المدينة التي تلي بيت المقدس في الاهمية.

«أما الديانة الهندية، كالبوذية والبرهمية، فقد كثرت فيها المشاهد والمعابد وأكثر هذه المشاهد والامكنة المقدسة على ساحل نهر «الغانج» المقدس، يجتمع فيها اهل البلاد في عدد هائل للاغتسال في النهر المقدس، ومنها ما يجتمعون فيها سنوياً، او عدة مرات في السنة..» (٣)

ان ظاهرة الحج والزيارة لدى كل من هذه الديانات وغيرها، يتميز بخصائص وسمات معينة إنطلاقا من الموقع الذي تحتله في النظمة العامة للديانة المعينة، كما تلعب هذه الظاهرة في كل من هذه الديانات والأمم او الشعوب التي تعتنقها أدواراً متعددة تطال مختلف المستويات والبنى الاجتماعية التي تشكل مجتمعة البناء الاجتماعي العام.

– الحج في المجتمع التوحيدي:

«واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا إسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير، ثم «ليقضوا» تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق». (٤)

– المنظومة الفقهية الضابطة

ان القيام بالحج، ليس امراً عفوياً يقوم به المسلم كيفما اتفق، انطلاقا من قناعاته الفردية، او تأثرا بالمناخ الحقوقي والقانوني الذي ينظم العلاقات الاجتماعية المختلفة في البلد الذي يعيش فيه، ولا انطلاقاً من العرف الذي يحكم القبيلة او الطائفة التي ينتمي اليها.

فالحج تحكمه منظومة فقهية تفصيلية يتعامل معها المسلمون على انها شروط الهية ورسالية، لا يحق للفرد او الجماعة او الامة، في اية مرحلة من مراحل التاريخ وفي اية بقعة من بقاع الارض، ان يجروا اي تعديل عليها، مهما كان الموقع الذي يتبوءونه في السلطة وفي الحياة العامة.

إنها انظمة فقهية متكاملة، يحكمها منطق متكامل مقصود بذاته فيما يتخطى ارتباطات الافراد والجماعات والشعوب هذه النظمة الفقهية، سواء درسناها في كلياتها او في جزئياتها، نجدها تتضافر وتتفاعل لتعطي للظاهرة بعداً فقهياً توحيدياً يتجاوز مجموع انفعالات وقناعات وممارسات الذين يحجون، دون أن يشكل بذلك قطيعة أو حالة تعارض وانقطاع مع فعل الحج هذا، بل تشكل هذه النظمة نقطة بداية ووصول. لحالة «الفطرة البشرية» التي تشكل المنظومة الفقهية المذكورة «نموذج قياس» بالنسبة لها، تعيد على أساسه وزن سلوكها الخاص والعام انطلاقاً منه ورجوعاً إليه، اذ بذلك يعتقد المسلمون، أنهم يسيرون على الطريق المؤدي الى نمو وازدهار شخصيتهم وحياتهم عبر التاريخ وفق

النهج والرؤية التوحيديين.

ان التعمق في فهم معاني ودلالات المنظومة الفقهية الناظمة لظاهرة الحج، ذات فوائد معرفية جمة فيما يخص مختلف فروع المعرفة الانسانية المتعلقة بالقانون: فلسفة القانون علم القوانين، علم السياسة، علم الاجتماع القانوني، القانون التاريخي المقارن.. ففلسفة القانون الغربي والوضعي عموماً، تستند في أساسها الى مبدأ القوة والغلبة الزمنيين.

فالقانون في التحليل الأخير، هو فرض الحدود والتوازن على قاعدة قوة زمنية ما، قبيلة كانت أو فئة اجتماعية ما. أو سلطة ملك أو دولة ما. أي ان الاحتلال متضمن في نقطة الانطلاق هذه، لان الحدود المفروضة هنا هي حدود القوة الزمنية القاهرة. «والتوازن» المفروض، هو توازنات مصالح القوى الغالبة بحيث يغدو مبدأ المساواة هنا متعلقا بمعطى تجزيئي زمني، يطرح نفسه ناظماً لمبادئ كلية وعامة. فالوحدة هي شأن تابع لمعطى أصيل اساسه التجزيئ والغلبة بالقوة. بينما نجد بالمقابل ان الاسلام يطرح التوحيد والوحدة كأصل وكهدف. فالوحدة في المفهوم الاسلامي، ليست وحدة القوة الجزئية الغالبة على الأجزاء والمتحكمة بها. بل هي وحدة المدار التكويني للإنسان والاختلال هو العنصرالطارئ عليها. وهذه الوحدة التكوينية ليست قهرية لأن لحمتها لا تقوم على أساس تجزيئي بل تتعلق بتجليات المحور التوحيدي منذ البداية..

يترتب على ما تقدم، اعادة فتح النقاش حول كثير من الموضوعات الفكرية السائدة على المستوى العالمي حول أسس التشريع وموقع الانسان منها، وحول تاريخية النظم القانونية وعلاقتها بحركة الناس والامم في الزمن الوجودي المعاش.

ان ديمومة النظم الفقهية الاسلامية وثبات مدارها، هي الوجه الآخر لديمومة السعي للانعتاق من ذل العبودية. فالتشريع الاسلامي لهذا المعنى، يطرح ثوابت للانعتاق من الوحدة الوثنية على طريق الوحدة التوحيدية إن جاز التعبير. فالثبات بهذا المعنى هو عين الحركة الآيلة الى دفع الانسان نحو التعلق بقيم التوحيد المتعالية، «يا أيها الانسان، إنك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه».

البعد العقائدي: التوحيد والتنزيه:

يرسي الاسلام كعقيدة في وعي وممارسة اتباعه، «تصورا» للخالق مفاده ان الله متعال عن كل الصفات والتشبيهات التي يمكن ان تتراءى للمسلم في تجربته وواقعه المعاش اي ان الله لا يمكن تجسده وفق شكل امر مظهر محدد. وهذا ما يقابله بالنسبة للانسان ان يركن الى علاقة مع الله توسط فيها، مهما كان الشكل الذي يمكن ان يأخذ هذا التوسط: صور، اصنام، هياكل، طبقة كهان، او أية فئة بشرية بعينها سواء اتخذت شكل فرد ام طبقة ام طائفة او اي شكل مجتمعي آخر. وهذا ما تؤكده الآية التي تقول: «واذا سألك عبادي عني فاني قريب، أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون» (سورة البقرة: آية: ١٨٦).

ان الاسلام يفرض على اتباعه ضمن هذا الفهم، مستوى من التجريد بالنسبة لاي واقعة بعينها تسمح لهم بالانعتاق والتحرر من أي من الوقائع الطبيعية والبشرية بفرض

التواصل مع «الواحد المتعال». عن أي من مخلوقاته. ولكن هذا التعالي المطلق. لا يحيل الخالق الى معطى مفارق ومفصول عن الوجود. بل ان آياته مبسوسة في الوجود كل الوجود. ومن هنا يبدأ المسلم في اقامة علاقة توازن – صراع – توحيد مع محيطه الطبيعي والبشري. دون أن يجعل من أي من هذه المظاهر. نقطة قياس متعالية. بل يرى فيها النسبي والزمني والمتغير والجزئي الذي يتوازن ويقاس الى المثل الاعلى اللامتناهي..

«وبحكم ان الله هو المطلق اذن الطريق أيضاً لا ينتهي. هذا الطريق طريق الانسان نحو الله هو اقتراب مستمر بقدر التقدم الحقيقي نحو الله. ولكن هذا الاقتراب يبقى اقترابا نسبيا. يبقى مجرد خطوات على الطريق من دون أن يجتاز هذا الطريق.. أي انه ترك له (للانسان) مجال الابداع الى اللانهاية، مجال التطور التكاملي الى اللانهاية..»(٥).

في هذا المناخ العقائدي، تندرج جملة الشعائر التي يقوم بها المسلمون، تقربا وتنظيماً لله وخروجا على كل ما يتعارض ويعيق هذا المسار التوحيدي. فالقيام بالشعائر ليس تعظيماً للشيئ بعينه، بقدر ما هو تقرب الى الله تعالى: «ذلك، ومن يعظم شعائر الله، بانها من تقوى القلب». (سورة الحج: ٣٢).

بهذا المعنى تأخذ شريعة الحج معنى وسلوكاً توحيدياً شمولياً يمارسها المسلم بالشكل والمعاناة، بسلوكه السياسي والاقتصادي، بنظرته لنفسه وللآخرين..

– الحج عامل تزكية وتوازن نفسي وعقلي وعاطفي:

– «والذين آمنوا أشد حبا لله» (سورة البقرة: ١٦٥).

– «قل إن كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها. ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله. فتربصوا حتى يأتي الله بأمره. والله لا يهدى القوم الفاسقين». (سورة التوبة: ٢٤).

ينظر الاسلام الى الانسان – بالمعنى الفردي والجماعي – باعتباره مشدوداً دائماً الى جملة العلاقات والمواقع الاجتماعية التي تحيط به. فالانسان ليس «مجرد ومطلق خارج عن النظام المادي والعلل والعوامل العينية والعلمية.. ولكنه (اي الانسان) يستطيع استغلال الجبر الطبيعي والوراثة والتاريخ والمجتمع ويكون مدبر الدنيا المادية. اي صاحب السيادة على الوجود، ويقطع هذه المسيرة العلمية من «التراب» الى «الله»..» وفي هذا المسير تجد فلسفة بناء الذات وجهتها وفلسفتها. ليس بناء الذات في الاسلام «رياضة سلبية»، لكنها، «تربية ايجابية».(٦).

ان الحج كسلوك فردي وجماعي، يمكن ان يندرج ضمن هذه الوجهة التي تحاول تحويل وضع الانسان المسلم من ظاهرة سلبية تكون محصلة لولائه العائلي او الطبقي وما شابه من علاقات اجتماعية مختلفة. الى ظاهرة ايجابية قادرة على استيعاب وضعيتها هذه وتخطيها. انطلاقا من عقيدتها التوحيدية ومن المؤسسات التوحيدية المختلفة التي تشكل دوائر متكاملة ضمن المسار نفسه.

بهذا المعنى يحتل الحج موقعا متميزاً في عملية بناء الذات المسلمة، بموجب اهداف محددة ووسائل تاريخية محددة.

فالحج توجه توحيدي يحاول ارساء

علاقات وممارسات محددة تتخطى حدود العلاقات والممارسات التي يعيشها المسلم في مجتمع ومحيط معينين.

فعندما يأخذ المسلم قراراً بتأدية فريضة الحج. يكون قد دخل في مسار سلوكي يحتم عليه إتخاذ جملة من القرارات الواعية. تبدأ بتنفيذ شروط القيام بالحج وما يستلزمها من دفع الزكاة والخمس. والبدء بمراقبة حازمة لسلوكه اذ يضع نفسه في موضع المراقب من قبل نفسه والجماعة المحيطة به. هذا المناخ الجديد يلاحقه. من لحظة توجهه. الى الحج وفي اثناء الحج وفي المرحلة اللاحقة والتي تمتد الى آخر العمر(٧) في مجمل علاقاته مع الناس.

ان هذا القرار الواعي بتأدية فريضة الحج. يستتبع جملة من الممارسات الواعية في مراحل الحج المختلفة.

ان السفر وما يمكن ان يكتنفه من متاعب. وهجر لمجمل العلاقات العائلية والاجتماعية المختلفة. التي يكون قد استقر عليها المسلم. تخلق في نفسه مناخاً جديداً، متحرراً من ضغط الولادات المعاشة، ومنخرطاً في عملية معاناة تحررية تضع عبوديته لله من جديد في الموضع الاول وذلك في مواجهة العبادات (الوثنية المختلفة) من سلطة ومال وجاه..

ففي الاحرام. ينزع عنه ثيابه، ويتخفف في الملبس مجارياً بذلك كافة الحجاج الآخرين. إلى أي مجتمع انتموا، وإلى أية فئة انتسبوا. ونزع الثياب هنا كشكل ذو دلالة رمزية. تؤكد نزع الملبس والامتياز السلطوي او المالي الذي يرمز اليه. مؤكدا انتماءه الى الله وتساويه المطلق مع باقي المسلمين. كذلك إمتناعه عن جملة من الاحتياجات النفسية والبيولوجية (المجامعة. والزواج).

تركز في ذهن المسلم مفاهيم التوازن والقدرة على التحمل والحرمان. والقدرة على التضحية والإيثار. وتصليب الارادة والجسد في وجه احتياجاته المادية والنفسية المختلفة. أي بجملة تأكيد وممارسة نهج تربوي. فردي وجماعي. على قاعدة التوحيد. قادر على تجاوز. الحالة السلبية التي يعيشها الانسان تجاه حاجاته وممتلكاته وولاته المختلفة.

وفي الحج. تنمية وتطوير لطاقات العاطفية الايجابية نحو الاخرين. وتأكيد لقدرة الانسان على تجاوز عواطفه الفردية والتضحية بها من أجل المجموع. تلك هي دلالات قصة ابراهيم الخليل وزوجته هاجر. والتجربة التي خاضاها في مراحل مختلفة في الهجرة الى هذا المكان النائي (مكة). وفي سعيها لايجاد الماء. وفي قراره بذبح ولده اسماعيل...

استحضار التاريخ والتواصل مع الخط التوحيدي فيه ومغالبة الخط الوثني:

قصة ابراهيم الخليل في القرآن:

«ولد ابراهيم في بيت سادن من أعظم سدنة البلد. ينحت الاصنام ويبيعها ويقوم على الهيكل الكبير. ويتصل به عن طريق العقيدة، وعن طريق الخدمة».

ولكن في هذا المناخ السلطوي الوثني، قام ابراهيم بتحطيم الاصنام.. وما تبع ذلك من أحداث(٨).. ادت الى رحيله الى بلاد الشام.. ومن ثم أمر بالتوجه الى واد ضيق، أحاطت به الجبال الجرداء من كل جانب،

وقسا فيه الجوع. يؤمر بترك زوجته والمولود الصغير. ويرضى المحذور والامر الواقع. فيغلب على الطفل العطش. مما يدفع الام للبحث عن الماء. معتبرة أن البحث عن الاسباب لا ينافي الإيمان والثقة بالله. فهي مضطربة في غير يأس. ومؤمنة في غير تعطل وتواكل»[٩].

ان حركة هاجر هنا. مزيج من الايمان والثقة بالله والاتكال على النفس والمجاهدة بحثا عن الماء.

في هذه القصة دلالات متعددة. نفسية وعاطفية وعقلية. تلحظ في أوج تفتحها واشتغالها على يد امرأة في أرض نائية مجدبة.

كذلك في قصة نية ومبادرة ابراهيم لذبح ابنه اسماعيل. ثم افتدائه. «اذ لم يكن المقصود ذبح اسماعيل. انما كان المقصود ذبح الحب الذي ينازع الحب الالهي ويقاسمه. وقد ذبح (هذا الحب) بوضع السكين على الحلقوم. انما ولد اسماعيل ليعيش. ويزدهر وينسل. ويولد في ذريته آخر الانبياء».[١٠].

إن مختلف القصص التي وردت في القرآن تعكس خط التواصل الذي ارساه الاسلام فيما بين الدعوة المحمدية وخط التوحيد والخروج على الوثنيين والتسلط وعبادة الاوثان. سواء اتخذت شكل جماد أو شكل بشر.

إن خط التوحيد في نظرته للتاريخ - كما تعبر قصة إبراهيم وغيرها يرسي منهجاً واضحاً قائماً على عدم وجود انقطاع كلي فيما بين مختلف الحقب التاريخية التي مرت بها البشرية. فلا ينظر الاسلام الى نفسه على انه انقطاع كلي ونوعي عما سبقه من تجارب ووقائع تاريخية. بل يعتبر نفسه تكملة وتتويجا لخط الصدام والصراع مع مختلف المؤسسات والقوى والاعراف والعادات التي حاولت أن تضرب خط التوحيد لترسي خط الاشراك والوثنية. الذي يعبر عن نفسه باشكال عدة. تلتقي حول جعل وثن. أو فرد. أو جماعة محددة. مركز الكون ومصدر سلطته.

ان الرؤية الاسلامية لحركة التاريخ على ضوء ما تقدم ترفض عملية تحقيب التاريخ الى مراحل متميزة نوعياً انطلاقاً من مقياس تجزيئي ما. يؤدي الى جعل كل مرحلة لاحقة نفيا للمرحلة التي سبقتها. كما يؤدي الى رسم خط تطوري لحركة التاريخ على قاعدة المميزات التي استجدت على واقع التجربة الصناعية في المجتمع الغربي المعاصر.

فالمدرسة الماركسية ترى في مستوى تطور القوى التقنية معيارا للتقدم والتأخر. والمدرسة الاجتماعية ترى ان الحالة الفكرية مقياسا لخط التطور التاريخي. وبذلك ترسي هذه المدارس نظرة اختلالية لمقاييس التقدم والتقهقر. تفصل بين مقاييس العدل ومقاييس القوة (التكنولوجيا. العلوم). لتذهب أبعد من ذلك حيث تجعل مقاييس العدل ملحقة بمقاييس القوة. أو تابعة لها. من هنا نفهم تحول هذه المدرسة تدريجيا الى اداة بيد المجتمعات الصناعية في مواجهة المجتمعات المستتبعة. تعمل على تبرير ما تقوم به الأولى من تخريب لحق المجتمعات الاقل تطوراً على مستوى القوة والثروة. حتى ان المرء يشك فيما اذا كانت الفلسفات الغربية المعاصرة. قد

إستنسبت المقاييس التي يمتاز بها المجتمع الصناعي. وجعلتها ميزانا للحق والعدل. أي حقها هي وعد لها هي بالذات. من هنا نجد سهولة تحول هذه الايدلوجيات الى لغة تبريرية لعنف المجتمعات الصناعية في مواجهة المجتمعات المستتبعة.

ألم يحتل نابليون مصر تحت شعارات الثورة الفرنسية؟ ثم ألم يجتاح الاتحاد السوفياتي افغانستان تحت شعارات التقدم والاشتراكية.. ان هذه الفلسفات تأكل شعاراتها اثناء الطريق بعد أن تكون قد جعلت منها ترسا حصينا تحمي به جسمها. فمبدأ المساواة في الفكر اللبرالي ومبدأ ضرب الاستغلال في الفكر الماركسي. تم التهامها من قبل هاتين المدرستين على طاولة الآلة وحرية السوق.. فالمساواة والحرية هنا. هما حرية مالك الآلة ومالك السوق..

لا يمكن بأي حال من الاحوال ان يتصالح الفكر الاسلامي مع هذه الفلسفات. اذ لا يمكن بحال من الأحوال ان ينظر المسلمون الى المجتمع الفرعوني على انه متقدم على مجتمع ابراهيم الخليل، بسبب القوة المدنية والمالية التي يتمتع بها المجتمع الفرعوني.

كما لا يمكن للمسلمين أن يروا في المجتمع العباسي وقبله الأمور نموذجا متقدما على نموذج دولة المدينة التي اسسها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا لسبب الا لأن هذان المجتمعان متقدمان ماديا وتقنياً بما لا يقاس مع مجتمع المدينة. فالمسلمون يرون في دولة الرسول الكريم نموذج القياس الذي تقرأ على أساسه التجارب اللاحقة وبغض النظر عن مقدار القوة التي تملكها أي منهما.

هنا تبقى مقاييس العدل والتوحيد والتقوى. هي العنصر الثابت في قراءة طبيعة انشداداتها. طبعا هذا لا يعني بأي حال من الاحوال. ان الاسلام يطرح تناقضاً مبدئياً وعلى الدوام مع المقاييس الأخرى.

بل جل ما في الأمر انه ينظر الى ميزان التوحيد على أنه المحور الناظم والمهيمن والمتحكم بموازيين القوة التي تقرأ على قاعدة خط التوحيد والعدل. فهي إما متواصلة معه او مختلفة عنه أو مناقضة له. وبذلك يمكننا أن نفهم لماذا ينظر المسلمون الى تجربة المدينة على أنها مقياس قراءة التجارب اللاحقة لها باعتبارها متقدمة بمقياس العدل والتوحيد رغم كونها متخلفة بمقاييس المدنية والقوة المادية.

وبذلك يكون الاسلام قد قدم تصورا لا يغدر بأي حال من الاحوال بأفراد المسلمين أو بكتاب الامة الاسلامية أو بعالم المستضعفين على المستوى العالمي، عبر اختزالهم الى ما يملكون من قوة.

لهذه الاسباب نقول ان الاسلام لا ينفي ما قبله وبالتالي لا ينفي ما دونه، بل يخلق عن اتباعه رؤية ومنهاجا في التعامل مع الوقائع والاحداث تسمح لهم بعملية فرز التجربة التوحيدية عن التجربة الوثنية. وتمثل واستيعاب المسلك التوحيدي ونبذ المسلك الوثني.

مما يبرز هذا النهج وهذه الرؤية ماكان عليه الحج عشية الدعوة، وكيف تعامل معها الاسلام، «فمن ذلك أن قريشاً لم يكونوا يدخلون عرفات مع الحجيج، بل يقفون في

الحرم. ويقولون: نحن أهل الله في بلدته وقطان بيته. ويقولون نحن الحمس وما ذلك الا ليتميزوا عن سائر الناس. ويحافظوا على مركزهم الجاهلي. وعلى ماكانوا يتخيلونه من سمو وامتياز. فابطل الله هذا الامتياز الجاهلي. وأمرهم بأن يعملوا كما يعمل الناس. ويقفوا بعرفات وقال: ثم افيضوا من حيث أفاض الناس» (١١) (سورة البقرة: ١٩٩).

ومن سمات الحج في الجاهلية. أنه كان عيداً من أعيادهم. ومكانا للمفاخرة بالانساب القبلية ومآثر الاباء. وللهو والخصام. فرفض القرآن ذلك في الاية التي تقول «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» (سورة البقرة: ١٩٦).

إن هذا. لمنهج في مغالبة المنحى «الاشراكي» تبدو جلية. فيما ارسي من ممارسات معينة ونبذ أخرى كانت سائدة. بهدف رسم مسار توحيدي خالص للحج وبهدف تخليد خصائص تجربة إبراهيم ومآثره. وتجديد لدعوته وتعليمه. عقيدة وممارسة.

هذا التواصل مع الخط التوحيدي السابق للرسالة الاسلامية. نجد له استمرارا بعد ثلاثة عشر قرنا في تجربة الحج لدى مسلمين في القرن العشرين. في توصيف لمحمد اسد حول تجربته في الحج يقول: «واذا وقفت على رأس التلة أحدق الى اسفل نحو سهل عرفات الغائب عن ناظري. شعرت كأن زرقة الارض أمامي. التي كانت ميتة منذ لحظة. قد دبت فيها الحياة من جديد بتلك التيارات من الانفس البشرية التي مرت عبرها. وامتلأت بالاصوات الغريبة تصدر عن ملايين الرجال والنساء الذين مشوا او ركبوا ما بين مكة وعرفات في اكثر من ألف وثلاثمائة حجة.. ان اصواتهم وخطواتهم واصوات حيواناتهم. وخطواتها. تستيقظ وتسمع من جديد: اني اراهم يمشون ويركبون ويتجمعون. كل تلك الملايين من الحجاج بثيابهم البيضاء عبر الف وثلاثمائة عام.. اخوان لي عن اليمين. واخوان لي عن اليسار. كلهم لا أعرفهم ولكن واحداً منهم ليس غريباً عني» (١٢).

وفي تجربة حج آخر نقرأ: «ان الانسان عندما يتواجد في مكة المكرمة منطلق الدعوة الاسلامية المباركة وفي المدينة المنورة. دولة الاسلام الاولى. يعيش مع الذكريات في أرضها وانطباعات روحية كبيرة: هنا نزل الوحي. ومن هنا انطلق الرسول (صلى الله عليه وسلم). داعياً ومبشراً ونذيراً. وفي هذه الامكنة عذب دعاة الاسلام الاوائل واستشهد بعضهم مواجهين الطاغوت.. وعلى هذه الطريق هاجر المسلمون من مكة الى المدينة..» (١٣).

وكما تتواصل تجربة الحج مع النسق التوحيدية في التاريخ. استمر الصراع ما بعد الدعوة الاسلامية بين خط الممارسة التوحيدية وخط الوثنية والتسلط. في تاريخ هذه الظاهرة وواقعها الراهن نلحظ جملة من الظواهر والممارسات التي تحاول ضرب هذه التجربة أو على الاقل إضعافها وجعلها ممارسة شكلية.

في كثير من العهود التاريخية اللاحقة

لمرحلة الدعوة، نلحظ انعكاسات الاختلال العام في بنية المجتمع الاسلامي على ظاهرة الحج. اذ ظهرت تجربة تعيين أمير الحج من قبل السلاطين، وما استتبع ذلك من امتيازات وممارسات مختلفة ادت الى جعل هذا المنصب فرصة للترقي وجمع المال وتوظيف شرعية هذا الموقع من أجل مكاسب ومنافع مختلفة. كما أدى الاختلال العام في حقب معينة الى تعيين عدة امراء للحج وبالتالي خلق فجوة وشرخ فيما بين الحجيج ذو طابع جغرافي أو عرقي او مذهبي (١٤).

أضف الى ذلك، هجمات عصابات متعددة على طريق الحج، للاستيلاء على قوافل الحجيج وسلبهم. كذلك محاولة التجار والبدو في مكة فرض اسعار عالية جدا على ما يبيعونه من ماشية.

وفي الوقت الراهن نلحظ ما للحدود السياسية للدولة التي يعيش فيها المسلمين من اثر كبير على حرية الحج خاصة بالنسبة للدولة التي تقع مكة فيها. فهناك قيود ومراقبة امنية وسياسية وتداخلات لمنع الحجيج من التفاعل والتواصل بهذا الشكل او ذاك.

ومع ذلك تستمر هذه الظاهرة بالعيش وتزداد قوة واتساعا. (بلغ عدد الحجاج عام ١٩٨٠ قرابة المليون، بينما لم يبلغ عام ١٩١٤ سوى ٧٠ الفا) (١٥). وبالتالي يستمر الصراع بين هذه الظاهرة وبين كافة الظواهر والعلاقات المعيقة لها بهذا الشكل او ذاك.

البعد السياسي للحج:

كانت القبائل عندما تؤم مكة في موسم الحج، تحمل كل منها أعلامها المميزة وأصنامها ولباسها، مؤكدة بذلك على تمايزها القبلي او على مرتبتها وعلو شأنها بين القبائل الأخرى. ولكن الحج بعد الدعوة، أرسى مؤسسة جديدة تتعارض بل تلغي كافة هذه الممارسات والشعائر. خالقة حالة توحيدية خالصة، تؤمن للمسلمين احدى الدعائم التي تجعلهم قادرين على مقاومة الانشدادات المختلفة من قومية وقبلية وما الى ذلك.

«فالمسلمون لا تبتلعهم القوميات، كما ابتلعت أمماً كثيرة، ولا يصبحون ضحيتها، ولا تكون بلادهم التي يحبونها بسائق القطرة، والعاطفة والعصبية، قبلة يتوجهون اليها، وكعبة يحجون إليها، إنما هي قبلة واحدة يتوجه اليها الشرقي والغربي، والعجمي والعربي، وانما هي كعبة واحدة يحج اليها الهندي والافغاني والمسلم الاوروبي والاميركي.. فالحج انتصار.. على القوميات الوطنية والعنصرية واللسانية، التي قد يصبح بعض الشعوب الاسلامية فريستها تحت ضغط عوامل كثيرة، فتتجرد جميع الشعوب الاسلامية من جميع ملابسها وازيائها الاقليمية التي تميز بعضها عن بعض ويتعصب لها اقوام، وتظهر كلها في مظهر واحد يسمى (الاحرام) في لغة الدين والفقه، وفي مصطلح الحج والعمرة، حاسرة رؤوسها ما بين رئيس ومرؤوس، وصغير وكبير، وغني وفقير، وتهتف كلها لغة واحدة ونغمة واحدة «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» (١٦).

والطواف حول الكعبة يرى فيها الامام الخميني رمزاً لحرمة الطواف والسعي حول (أية

مبادئ) غير مبادئ الله ، وان رجم الشيطان هو رمز لرجم كل شياطين الانس والجن في الارض . أيها الحجاج .. احملوا من ربكم نداء الى شعوبكم ، ان لا تعبدو غير الله وأن لا تخضعوا لغيره»(١٧) .

ويندرج الحج ضمن سلسلة اجتماعات المسلمين ، بحيث يأتي تتويجاً لها ، وأهمها لجهة الشمول والاتساع ، أما اول هذه الاجتمعات فهدى «على مستوى اهل الحي الواحد من البلد ، يتكرر في اليوم خمس مرات وقد شرع الله له صلاة الجماعة ، أما ثانيهما فاجتماع على مستوى أهل البلدة الواحدة ، يتوالى مع كل أسبوع ، وقد شرع له صلاة الجمعة ، وأما ثالثهما فاجتماع على مستوى العالم الاسلامي أجمع»(١٨) . حيث يتلاقى المسلمون من شتى بقاع الارض ، ليتعارفوا ويتبادلوا الاراء والخبرات ، ويغلبوا وحدتهم على ما يغالبها من انتماءات تاريخية واجتماعية وثقافية مختلفة .

يورد أحمد شلبي معلومات قيمة عن تجربته في الحج(١٩) ، عندما يشير الى النقاط التالية :

— الحج اجتماع عام للمسلمين ، «لم يختر له مندوبون يمتازون بالحجيج والجدل ، بل ترك الباب مفتوحا لمن يستطيع أن يأخذ في هذا المؤتمر الشامل بنصيب ، والحجيج على هذا يمثلون كل الاقطار بل كل القرى ، ويمثلون كل الثقافات وكل الطبقات .

— (ومن مآثر الحج كذلك التعارف بين طوائف شتى جاءت من كل ربوع العالم الاسلامي ، وطالما جلست وانا أؤدي هذه الفريضة مع رفاق من هنا وهناك وتدارسنا مشكلات العالم الاسلامي(٢٠) .

— «وهناك مأثرة مهمة للحج أدركت عمقها من صلاتي ببلاد شتى بالعالم الاسلامي ففي كثير من هذه البلدان يوجد اهتمام كبير بلقب «حاج» الذي يحمله من أدى هذه الفريضة ، ويبلغ اهتمام الناس بهذا اللقب ان الابناء يرثونه عن الاباء والاجداد كما يحدث كثيراً في أندونيسيا وماليزيا والسودان ، وكم من رجل ذهب للحج ثم ألزمه هذا اللقب أن يتجه الى الطيبة والاستقامة ليكون أهلا لحمله»(٢١) .

ان الدلالات السياسية المختلفة التي تتضمنها ظاهرة الحج في المجتمع الاسلامي تنطوي على سمات خاصة بهذا المجتمع فالسياسة ليست مؤسسة قائمة بذاتها ومنفصلة عن باقي جوانب وابعاد الحياة الفردية الجماعية . بل هي تتدرج من ممارسة شمولية متعددة الجوانب تعطي للنسق السياسي الإسلامي بعداً توحيدياً متميزاً .

ومن هنا خطأ موضوعتين شائعتين في فهم دلالات الحج عند بعض المحللين والدارسين لهذه الظاهرة . فالموضوعة التي تحاول أن تختزل الحج الى ظاهرة تعبدية مقتصرة على تنفيذ بعض الشرائع والفرائض ، منظوراً إليها على أنها ممارسات منفصلة عن باقي جوانب الحياة الاجتماعية ، تجد لها تغييرا في كثير من الدراسات والمواقف التي تتخذها مؤسسات سياسية مختلفة . وهي بذلك تعكس موقفا وممارسة تاريخيين ، طالما تداخلا وتشابكا مع ظاهرة الحج ووسماها بهذا الطابع عبر التاريخ . غير أن هذه الوجهة لم تستطع تدجين ظاهرة

الحج واستيعابها الا لفترات معينة من التاريخ . وبقيت هذه الظاهرة حتى في مراحل الانحسار في المجتمع الاسلامي . ظاهرة حية تنبض بالحياة وتنتظر المناخ المناسب لتعيد سيرتها الأولى كإحدى ركائز المجتمع التوحيدي الاساسية .

والموضوعة الثانية . إحالة الحج الى مؤتمر سياسي سنوي على النمط الذي نلحظه في الممارسة السياسية الحديثة . (الاجتماع أو المؤتمر الحزبي وما شابه) . ان خطأ هذه الوجهة يكمن في إسقاط الفهم المعاصر والسائد لطبيعة المؤسسة السياسية على ظاهرة مختلفة . لها اسمها ومنطقها الخاصين بها . واللذان يعبران عن أنفسهما في ظاهرة الحج الشمولية . والتي يندرج فيها . في زمن واحد . المستوى العقيدي . والفكري . والنفسي . والاقتصادي والسياسي .. مما يعطي لهذه الممارسة خاصية وفرادة مميزتين . كما يعطي لكل بعد من أبعاد هذه الممارسة . طابعاً مميزاً له اسسه وقواعده ومنطقه الملازم له .

لذا ضرورة العمل على كشف المنطق العام الذي يحكم هذه الظاهرة مستندين الى منهج شمولي مرن . يسمح للباحث بالانفتاح على حقائق الواقع ومعطياته . دون أن يسمح للرؤى المنهجية والنظرية المختلفة ، أن تكون قالبا جامداً . عاجزاً عن التقاط دلالات وأبعاد هذه المؤسسة . فلابد والحالة هذه من تطوير مفاهيم وأساليب منهجية ونظرية علمية ودقيقة تستجيب وتتلائم مع طبيعة الموضوع المدروس . بغض النظر عن المواقف القيمية والنظرية التي تسود علم الاجتماع العام وخاصة المناهج السائدة في المجتمع الغربي الحديث في تجلياته المختلفة .

ففهوم التوحيد . والجماعة . والفطرة . والعبادة . والشرع . وما إلى ذلك من موضوعات منهجية ونظرية . كمفهوم العصبية . والقبلية والامة . كلها مفاهيم أساسية في دراسة التجربة التاريخية والمعايشة من قبل الجماعة التوحيدية كي يتمكن الباحث من بلورة مفاهيم إجتماعية دقيقة تصلح للتعامل مع طبيعة الواقع ودلالات مسالكه المختلفة .

إن المخاض الذي تعيشه الشعوب الاسلامية . والذي بلغ أشده مع قيام أول دولة اسلامية في القرن العشرين ، سيفتح الطريق أمام الشخصية الفكرية الأسلامية لأن تستعيد حركتها بعد أن طال زمن الانكماش والسير المتعثر . أي أن عمق الجراح وكثافة الاصفاد تستدعي بالضرورة نهضة شاملة لن يستقيم أي بنيان منها الا عبر التواصل والتآزر مع الابنية الأخرى .

إنها بداية امتحان لقدرة المسلمين على المواجهة الحضارية الشاملة في ميادين الجهاد المختلفة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د . حسن الضيقة

عن بحث قدم لندوة الحج

(١) ابو الحسن الندوى ظ الاركان الاربعة : ص ٢٧٩ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٨٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٨٥

(٤) سورة الحج : آية (٢٧ — ٢٨ — ٢٩) .

(٥) محمد باقر الصدر : مقدمات في التفسير

الموضوعي للقرآن . دار التوجيه الاسلامي . ١٩٨٠ . ص : ١٥٢ .

(٦) د . على شريعتي : بناء الذات الثورية . من كتاب الثورة الايرانية : الجذور الايديولوجية . جمعها . د : ابراهيم الدسوقي شتا . الوطن العربي . ١٩٧٩ ص : ٨٩ .

(٧) نلحظ في الوعي الشائع . النقد القاسي الذي توجهه العامة لاي حج اقترف خطأ ما في الوقت الذي تتهاون أمام شخص عادي ارتكب نفس الخطأ .

(٨) راجع حول ذلك : ابو الحسن الندوي : الاركان الاربعة . ص : ٢٥١

(٩) المرجع السابق : ص . ٢٥٣

(١٠) المرجع السابق : ص . ٢٥٤

(١١) الندوى . مرجع سابق : ص . ٢٨٨

(١٢) محمد اسد . الطريق الى مكة . دار العلم للملايين . ص . ٤٠٤

(١٣) محمد الخنسا . مجلة الحكمة . عدد : «٤» . ص . ٧٠

(١٤) دائرة المعارف الاسلامية . المجلد الرابع . مادة : امير الحج .

(١٥) دائرة المعارف الاسلامية . عدد : ١٠٣ . ١٩٧٥ . القاهرة . مادة : الحج .

(١٦) ابو الحسن الندوى : مرجع سابق : ص . ٢٦٣ ٢٦٤ .

(١٧) رسالة الخميني الى الحجاج عام ١٣٩٩ هجرية

(١٨) د . محمد سعيد البوطي : مقدمة كتاب مناسك الحج والعمرة ص . ١٢

(١٩) احمد شلبي : الاسلام . مكتب النهضة المصرية . ١٩٧٩ . ص . ١٦٠ ١٦٥ .

(٢٠) المصدر نفسه : ص . ١٦٣

(٢١) المصدر نفسه : ص . ١٦٢

حول الوضع الاسلامي في اندونيسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين .

[وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً]

أيها الأخوة المسلمون .

لقد قام زبانية سوهارتو بمجزرة شنيعة بمسجد (روابدا) في جاكرتا وذلك مساء الاربعاء ١٥ من ذي الحجة الحرام عام ١٤٠٤هـ والموافق ١٩٨٤/٩/١٢ حيث اغاروا على حشود المسلمين العزل وقتلوا منهم مائة واثنان وخمسون شهيداً — من بينهم الداعية المحامي اميربكى البالغ من العمر اربعة واربعون عاما وقد اعتقل على اثر هذا الحادث عدد كبير من الدعاة والخطباء والشباب المسلمين من بينهم الداعية والمفكر المعروف الاستاذ عبد القادر جيلاني حفظه الله . وكانت هذه الحادثة بمثابة زلزال عظيم هزّ اندونيسيا .

وتشير الى ان هذه الفاجعة جاءت كرد فعل تحسبه الحكومة حاسماً ضد المسلمين الذين يشنون في هذه الايام حملة توعية ضد مشروع قانون تتبناه السلطة الحاكمة في البرلمان لجعل المبادئ الخمسة (البانجا سيلا) اساسا لجميع الهيئات الحكومية وغير الحكومية . ويقضي هذا القانون بحل الهيئات التي لا توافق على ذلك . والمقصود بهذا القانون الهيئات الاسلامية الصادقة — لان — الهيئات غير الاسلامية موافقة من السابق على هذه المبادئ اساسا لها — حيث بذلت الحكومة في ذلك جهودا كبيرة منذ أن وضعت هذه المبادئ في عهد سوكارنو . ومن المعلوم ان المبادئ الخمسة هي اساس وفلسفة الحكم القائم في اندونيسيا وضعت لتكريس العلمانية في اندونيسيا ولتكون بديلا عن الاسلام .

وزاد هذا المشروع من اصرار المسلمين ورفضهم لهذه المبادئ لانهم امنوا بالله ربا وبالاسلام دينا — ولان هذا المشروع يعني اعطاء الشرعية والحرية لكل ما سوى الاسلام — ويعني منع المسلمين من العمل تحت لواء الاسلام وبالتالي لتمكين المد الصليبي والعلماني في البلاد فاندفع العلماء والدعاة الربانيون ليس الى التنبيه الى خطر هذه المؤامرة فحسب بل الى قيام حكم القرآن وازالة حكم الطغيان — وقد تجاوب المسلمون لنداءات العلماء والدعاة واستعدوا لتقديم ارواحهم في سبيل الله — وكان الحادث الاخير علامة على التجاوب والاستعداد واشارة الى شدة الرفض لكل ما يمس الاسلام بسوء وتعبير عن الظلم والكبت والحرمان الذي حل بالمسلمين . ولم

تثنهم ولم تفل من عزمهم وتصميمهم على المضي في هذا الطريق فاما النصر او الشهادة بل انها ايقظت النائمين ونبهت الغافلين وزادت من عزم السائرين ولكن هذه المجزرة تدل على شدة رد فعل الحكومة حيث اصبحت مهددة من قبل المسلمين وتدل على قسوة وبطش ووحشية الطغاة.

فالموقف في اندونيسيا متأزم جدا لا كما تصوره وكالات الانباء العالمية الناطقة باسم السلطة الحاكمة ولا كما يتصور مجلس علماء الحكومة فيدعون المسلمين الى الهدوء.

ولذلك قامت لجنة الدفاع عن الاسلام في اندونيسيا لتوضيح الموقف وابلاغ صوت المسلمين الى اخوانهم في انحاء المعمورة حتى يعلموا حقيقة ما يجري لهم لا ظاهر ما تصوره الوكالات العميلة. وتدعو اللجنة المسلمين للوقوف بجانب اخوانهم في محنتهم وتنادي فيهم صارخة. واأسلاماه! وا أسلاماه! واأسلاماه. قال الله تعالى «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين..» «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً».

لجنة الدفاع عن الاسلام في اندونيسيا

المسلم .. ثوري

في اللغة العربية كل زيادة لها مؤداها فعندما تقول «بعت الكتاب» تختلف عن جملة «بعت الكتاب الاخضر» فكلمة اخضر جاءت هنا اكثر توضيحاً وتخصيصاً كذلك عندما تقول «هذا مسلم» تختلف عن قولنا «هذا مسلم ثوري» فكلمة ثوري جاءت هنا لتزيد ولتعمق كلمة مسلم على الرغم ان الاصل في المسلم ان يكون ثوريا اي رافضا للظلم وللواقع البائس الذي يعيش. ويؤكد هذا القول ما كتبه الشهيد سيد قطب حين قال «كن مسلما فحسب فهذا يكفيك لان تقاوم الطغيان والا تحسس قلبك عسى ان تكون مخدوعاً بحقيقة ايمانك».

ولكن في هذه الايام اصبحت كلمة مسلم عند كثير من المسلمين (الحركيين) وغيرهم تتخذ معنى محدود جدا وهو اداء الشعائر الدينية من صلاة وزكاة رغم ان من اساسيات الاسلام ان تقوم بواجبك الشخصي لله.. اما ان تكون مجاهداً ثائراً على الواقع الذي تعيش فهذا ما غفل عن الكثير من (الاسلاميين) وكلمة اسلاميين هنا تأتي لتؤكد ان الاسلامي هو المسلم الحركي والثوري بكل من هذه الكلمة من معنى. والذي يؤكد ان الاصل في المسلم ان يكون ثوريا اي ثائر على قيود الاستكبار هو التاريخ بما يحفل مع احداث عظيمة فذاك القائد العظيم صلاح الدين الايوبي كان مسلماً مؤديا لواجباته الدينية كذلك متفاعلا مع الامة وقضاياها وحينما نذكر صلاح الدين نتذكر القوة والعزة والنصر لان الاصل في المسلم ان يكون ثوريا

وهكذا كان صلاح الدين وكل قادة العالم الاسلامي على امتداد تاريخنا العظيم. كذلك مما يدعم هذا القول هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي جاء للرسول يسأله من اقرب الى الله وافضل هل هو اخاه المعتكف في المسجد يصلي ام هو الذي يقوم بواجباته الدينية خير القيام ويعمل ايضا فجاءت كلمات رسول الله لتؤكد انه خير من اخيه.

فهذا هو حال الفرد المسلم فما بال الجماعة الاسلامية. ان الجماعات او الحركات الاسلامية اساس تكوينها يقوم على الثورة حتى تغير الواقع، فعجبا لأولئك الرهط من المسلمين الذين يدعون انهم منقذوا الامة ولامة لا تسمح الا بـ ميشيل عفلق والبغية القومية والاشتراكية لان الامة تسير مع من يدافع عن قضاياها بغض النظر عن اتجاهه كذلك الامة لها القابلية لان تسير مع افكار معينة اكثر من غيرها لان الذي يحدد مسير الامة هو ماضيها وحضارتها ومعتقداتها فمن هنا كان الاسلام ولا زال هو المرشح لقيادة الامة والمرشح لتعبئة الجماهير ولكن هذه التعبئة تطلب حركة ثورية.

ان متطلبات الثورية هي الجماهيرية اي الالتحام مع الجماهير من تبني قضاياها والدفاع عنها كذلك ان تكون في المقدمة بكل عمل مهما صغرا وكبر فمن هنا الجماعة الثورية هي التي تستفيد والتي توجه كل قضايا الامة نحو الثورة الشاملة. فمثلاً قضايا قد تكون غير ذات قيمة ولكن تعطي الحركة وتكسبها جماهيريا مثل قضية المأتم والافراح والمظاهرات. كل هذه القضايا اذا حسن الاستفادة منها وبالتالي توجيهها الوجهة الثورية ليكون كل ذلك في محصلة الحركة.

ففي عهد الرسول وفي بداية دعوته وبصفة دعوة الاسلام جاءت غريبة عن افكار المجتمع الجاهلي السائد بالرغم من انها امتداد لدعوة الانبياء عليهم السلام ولكن هذه الدعوة استطاعت ان تخترق المجتمع الجاهلي في كل الميادين حتى ضجر سادة قريش من ترداد كلمة محمد ودعوته في كل المجالس هذا حال زعماء قريش فما بالك بالعامة وبالتالي كانت دعوة الرسول ثورة على كل المفاهيم والمعتقدات وهكذا كانت دعوة المؤمنين الاوائل دعوة للناس تخترق كل الميادين لتجابه الكفر والاستكبار دعوة لصالح المستضعفين دعوة يهابها الكفار رغم انها كانت في مهدها لانها دعوة ترفع المستضعفين وتحط من فئة المستكبرين. ولهذا كان الناس يؤمنون بالرسل لموقفهم الموحد وثورتهم على الباطل.. الموقف الذي دائما كان يصب لمصلحة المستضعفين ولولا قوة الاستكبار المادية لرأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا وهذا ما حصل فعلا عند فتح مكة. فمن هنا كانت دعوة الرسول دعوة ثورية ثائرة على الواقع الجاهلي جاءت لتنقذ المظلومين والمستضعفين وتحطم دول الاستكبار وافكاره واخيرا اننا في ترداد كلمة الله اكبر في الصلاة نؤكد هذا المفهوم الذي هو كل ما عدا الله مرفوض فكل الاستكبار وافكاره مرفوضين ويبقى الله اكبر فهذا هو ما قصده من المسلم ثوري.

مسلم

باختصار ...

* ذكر القادمون من الضفة الغربية ان جيش الاحتلال الصهيوني شرع في اقامة ابراج عالية في مدينة الخليل معززة بجنود الاحتلال المدججين بالسلاح والمدافع الرشاشة وذلك في اطار حملة ارهاب المواطنين الفلسطينيين، كما قامت سلطات الاحتلال العسكري في الضفة الغربية وقطاع غزة باستدعاء العديد من أصحاب المحلات التجارية الذين رفعوا على واجهات محلاتهم شعارات وطنية بمناسبة يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني، وحققت معهم تمهيداً لمحاكمتهم، كما أن قوانينا جائرة جديدة قد سنتها سلطات الاحتلال لتحصيل الضرائب المتراكمة الأمر الذي سيؤدي الى كوارث حقيقية بالنسبة لقطاع التجارة المحلية في الاراضي المحتلة.



* تلقى عدد من رؤساء المجالس المحلية في الجليل ومنطقة المثلث العربي الفلسطيني رسائل تهديد بالقتل، وقد احتوت كل رسالة على رصاصة، وكانت هذه الرسائل موقعة باسم حركة «كاخ» الارهابية العنصرية والتي يتزعمها الارهابي الصهيوني ــ الامريكي الأصل ــ الحاخام مائير كاهانا، وتقول هذه الرسائل أنكم ستقتلون بهذه الرصاصة أن عاجلاً أو آجلاً، وان لدينا رصاص يكفي لقتل جميع العرب في فلسطين المحتلة.

* وافقت حكومة العدو الصهيوني على عدم القيام بضرب المفاعل النووي الذي تنوي فرنسا القيام ببنائه قرب بغداد في العراق، مقابل قيام فرنسا بتزويد العدو الصهيوني بثلاثة مفاعلات نووية فرنسية تبلغ قوة أحدها (٩٥٠) ميغاواط. والمعروف ان التعاون النووي الفرنسي ــ الصهيوني الوثيق قد بدأ منذ عام (١٩٥٠) عندما قامت فرنسا بتزويد العدو الصهيوني بأول مفاعل نووي وقم تركيزه في ريمونه بصحراء النقب حيث قامت عليه باكورة النشاط النووي الصهيوني. وتقوم فرنسا ــ منذ زمن ــ بتزويد اسرائيل بالبلوتونيوم الذي يجري تنشيطه في ريمونة حيث سيكون لاسرائيل احتياطي يكفي لصنع ماقة قنبلة نووية مع نهاية القرن.



* يتوقع المراقبون أن يتم قريباً تحديد موعد للقاء قمة بين الرئيس المصري ورئيس الوزراء الاسرائيلي، يدعم هذا التوقع تصريحات القائم بالاعمال المصري في تل ابيب الذي صرح عن نية جعلها قمة ناجحة. كما ان أي تقدم في مباحثات الناقورة بين لبنان وحكومة العدو الصهيوني سوف يرجح عقد هذه القمة، هذا على الاقل ماذكره الرسميون المصريون لمبعوث الرئيس الاميركي مورفي عند زيارته للقاهرة.

---

* تجري دولة العدو الصهيوني مساعي جدية حالياً لشراء مجموعة من الغواصات المتطورة لدعم اسطولها البحري، وترشح مصادر الانباء أمريكا بالدرجة الاولى لتلبية هذه المطالب.

---

* ذكرت مصادر صحفية غربية أن صفحة جديدة في الاتصالات الاسرائيلية السوفيتية قد بدأت مؤخراً، وكان أهم ظواهرها الاجتماع الذي عقد بين السفير السوفياتي في واشنطن أناتولي دوبرينين، الذي يشغل مكانة مرموقة في الدبلوماسية السوفياتية، والسفير الاسرائيلي في واشنطن والذي يشغل مكانة مماثلة في الدبلوماسية الاسرائيلية. يتوقع المراقبون ان تكون هذه الاتصالات مقدمة لدخول سوفياتي جديد الى الشرق الاوسط ولكن من بوابة اسرائيل التي يأمل السوفيات منها القبول بالمشاركة في مؤتمر دولي ـ يحضره السوفيات ـ حول الشرق الاوسط أو على الاقل عدم معارضته في المرحلة الراهنة والتي تسبق لقاء القمة الامريكي ـ السوفياتي المرتقب والذي تأمل موسكو في دخوله بأكبر عدد ممكن من الاوراق الدولية خصوصاً ورقة الشرق الاوسط.

* أفادت مصادر دبلوماسية عربية مطلعة أن الملك حسين أبلغ الرئيس الفرنسي ورئيسة الحكومة البريطانية خلال اجتماعه بها مؤخراً، أنه يشعر «بخيبة أمل حقيقية» لأن الولايات المتحدة لم تتجاوب حتى الآن فعلياً مع التقارب المصري ـ الاردني ولم تظهر اهتماماً حقيقياً به. وقال أنه يشعر بأن الرئيس الامريكي لم يعد يهتم بأزمة الشرق الاوسط، وكذلك وزير خارجيته.



* وصلت الى الكويت مجموعة من الخبراء العسكريين السوفيات بموجب اتفاقية صفقة الأسلحة بين الكويت والاتحاد السوفيتي وتضم هذه المجموعة عشرين خبيراً. ومن المتوقع وصول دفعات أخرى من الخبراء السوفيت تضم عشرات منهم حيث سيمتد برنامج التدريب الى عدة سنوات. ويطمح السوفيات الى توسيع برنامجهم لتسويق السلاح في الخليج حيث من المتوقع ان تحذو دولة خليجية أخرى على الأقل حذو الكويت في استيراد السلاح السوفياتي من طائرات ووسائل دفاع جوي.

* صعد الثوار المسلمون في جنوب لبنان المحتل من عملياتهم البطولية ضد قوات العدو الصهيوني ووجوده العسكري، كما تجاوزت هذه العمليات مناطق الكثافة السكانية ـ حيث تتمرس المقاومة ـ لتصل الى حدود لبنان مع فلسطين المحتلة. كما طالت عمليات المجاهدين منطقة الشريط الحدودي التي تتركز فيها قوات العميل أنطوان لحد ـ خليفة سعد حداد ـ والتي تعتبر صمام الأمان في خطة الأمن الصهيونية لجنوب لبنان.

---

* في نيويورك، ذكر مراسلون صحفيون أن اجتماعاً مهماً قد عقد بين وزير البلاط الاردني عدنان أبو عودة ومجموعة أمريكية يهودية برئاسة ستيف كوهين حول الاستثمارات في الضفة الغربية، رفض الدبلوماسيون الاردنيون التعليق على النبأ، وقال أحدهم أن المسؤلين الاردنين لديهم قواعد محددة للاجتماع مع اليهود الامريكيين.

يتوقع المراقبون أن تبلغ قائمة المساعدات الأمريكية لاسرائيل حوالي ٤ر٨ مليار دولار، وقد طلبت اسرائيل ان يتم ادراج اعتمادات المساعدات العسكرية لاسرائيل وكذلك الاقتصادية ضمن اطار ميزانية وزارة الدفاع الامريكية باعتبار الدور الهام الذي تقوم به اسرائيل هذا الشأن. ويتوقع المراقبون أن تعتبر نسبة عالية من هذه المساعدات هبة الى اسرائيل لا ترد.

ونلتقي ...

القسام يعلم في جامع الاستقلال

إعلم يا ولدي أن الثورة بنت السر
تولد في رحم اليأس
يودع نطفتها العقل الراجح في القلب المجنون
تتغذى بالحبل السري من النار المستعرة في الاعماق
فاحذر أن يجهضها الافصاح
واحذر أن يخنقها الكتمان
والثورة في البدء زواج الكلمة بالانسان
فتخير للنطفة أرحاماً لا يبصق فيها الزانون

* * *

واعلم يا ولدي أن عدوك ملأ البر وملأ البحر
فاحذر أن يملأ نفسك أنت
إنتهت الحرب اذا احتل عدوك روحك
أو أرسل أهواءك تسعى حولك
حتى دخلتك فهنت
إذ عرف المدخل وتهاوى المدخول

* * *

واعلم يا ولدي أن الثورة
تعبر في اليوم الواحد أربعة فصول
تختصر الزمن وتهتك أستار المجهول
تحتاج رؤوساً لا تسكر من أول رأس
فاحذر إن كنت خفيف الرأس
وعتق لك خمر السلطة
زين لك أن تلعب بالناس
وتركب أرواح الشهداء
فالعرض يزول
لا يبق إلا وجه الحق
وكف القدرة ودماء الشهداء

* * *

واعلم يا ولدي أن الثورة ميلاد الانسان
والنصر حصاد الغرس الطيب
موهوباً للحق
لن تنتصر الثورة إلا بالصدق
وإذا انتصرت بالسارق والخائن
كانت بدعاً
وأنقض لصوص الأمس على جوهرة الحكم
واقتتلوا حتى فرق شمل الناس
وانسفح على الارض الوهم المعسول
مانفع الثورة إن لم تصنع زمناً يجدر بالانسان
وتصنع إنساناً يجدر بالنصر

ناهض منير الريس

قل لئن اجتمعت الإنس
والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن